الاستعاذة

أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: الاستعاذة

تأليف: أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

تصحيح وتدقيق: الدكتور الشيخ حسين اليوسف

الطبعة: الأولى، ٢٠٢٤م

نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام

البريد الإلكتروني: mediaalwafa@gmail.com

ISBN: 978-614-464-273-3

دار الوفاء للثقافة والإعلام

الموقع الرسمي

daralwaffa

الفهرس

مقدمة الناشر ٩

الأمر الإلهي بالاستعاذة

المدخل ١١
الإنسان بين تصرفين ١٢
الجدّية في الاستعاذة ١٤
فائدة مهمة ١٤

وجوه الاستعاذة في القرآن الكريم والحديث الشريف

الوجه الأول: الاستعاذة المطلقة ١٨
معاني المفردات في الحديث الشريف المبارك ٢٢
أضواء قرآنية للتمييز بين عدوين في المعاملة ٢٣
الحذر من الطواغيت والفراعنة وقوى الاستكبار ٢٨
من التجارب القرآنية ٣١
من تجارب السيرة النبوية الطاهرة ٣٣
الوجه الثاني: الاستعاذة لتلاوة القرآن ٣٤
أقسام الاستعاذة للتلاوة ٣٨
صيغ الاستعاذة ٤٠
معاني المفردات ٤١
من فوائد الاستعاذة ٤٤

مقال قصير حول الغضب ٤٤
التكليف الشرعي والأخلاقي للإنسان بشأن الغضب ٤٦
علاج الغضب ٥٠
تجلٍّ وحشي من واقع الحياة ٥١
سؤال مهم جداً ٥٤

بحث حول الشيطان

المسألة الأولى - التعريف بالشيطان ٥٧
المسألة الثانية - الفرق بين إبليس وأعوانه من الجن والأنس ٥٩
المسألة الثالثة - سلطة إبليس على الإنسان ٦٠
الدروس المستفادة من البحث ٦٨
مقال حول عبدة الشيطان ٧٤
أمريكا الشيطان الأكبر ٨١
مرابطة العلماء الروحانيين في حراسة الحدود الإلهية والإنسانية ٨٣

فلسفة الاستعاذة

البعد الأول: البعد الإنساني ٨٩
البعد الثاني: البعد الحيواني ٩٠
ملاحظات مهمة ٩١

أحكام الاستعاذة

أولاً: في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ١٠٤
ثانياً: في مدرسة الخلفاء ١٠٥

تفكيك الاستعاذة وتحليلها

المسألة الأولى: عناصر الاستعاذة ١٠٧
مقالة مختصرة حول الصلاة ١٠٩
المنزلة الخاصة للصلاة في الإسلام ١١٥
المسألة الثانية: أركان الاستعاذة ١٢٢
الركن الأول المستعيذ ١٢٢

الفهرس

بحث في مكانة أهل البيت عليهم السلام ١٢٩
الركن الثاني: المستعاذ منه ١٣٣
الركن الثالث: المستعاذ به ١٣٧
الركن الرابع: المستعاذ له ١٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[1]

١. سورة الفاتحة

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل الصلاة والسلام على محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للهداية والتوجيه في حياة المؤمن، ويمثل النور الذي يُضيء طريق الحق والعدل. من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم وتدبر آياته، يجد المؤمن الإجابات لكل ما يواجهه في حياته من تحديات روحية، نفسية، واجتماعية؛ وفي هذا العصر الذي تتزايد فيه الفتن وتتداخل فيه المفاهيم، أصبح من الضروري الرجوع إلى القرآن الكريم لفهم معانيه العميقة وتطبيق مفاهيمه السامية في واقعنا اليومي.

يعد هذا الكتاب إحدى المحاولات المباركة التي قام بها أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين، والذي سعى من خلاله إلى تبيين وتفسير بعض الإضاءات القرآنية، بهدف توضيح معانيها العميقة وإيصال رسالتها السامية للناس. وبعد أن أتم تفسيره لسورة «الضحى»، انتقل المؤلف لتفسير سورة الفاتحة، حيث ذكر بأنه هناك مدخلين لتفسير سورة الفاتحة؛ المدخل الأول هو محتوى هذا الكتاب وهو «الاستعاذة» التي يبدأ بها المؤمن لتجنب وساوس الشيطان وشرور الدنيا، حيث كانت نية الأستاذ الفاضل هو التطرق إلى أبعاد مختلفة من القرآن

الكريم، ولكن للأسف بسبب كثرة الانشغالات والالتزامات التي أحاطت به في تلك الفترة، توقف عن إتمام المشروع الذي كان يهدف إلى توسيع الأفق المعرفي حول المواضيع المهمة في القرآن الكريم وقد اكتفى بتفسير سورة الضحى والمدخل الأول من تفسير سورة الفاتحة وهو الاستعاذة.

رغم أن الاستعاذة تعد من الأمور الأساسية التي يبدأ بها المسلم تلاوته للقرآن الكريم، إلا أن أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين وجد أن هذا الموضوع يستحق التوسع والتفصيل، لما له من دور حيوي في بناء النفس الإنسانية وحمايتها من المخاطر الروحية والنفسية.

يبقى هذا الكتاب شاهداً على جهد أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين في مجال الدعوة إلى التفكر والتأمل في معاني القرآن الكريم، ودعوة صادقة للعودة إلى تلك المعاني العظيمة التي تعزز علاقة المسلم بربه وتحصنه من شرور الحياة.

في النهاية نسأل الله الفرج القريب لأستاذنا الفاضل ولبقية الرموز القادة، والثبات للأمة الإسلامية على خطى القرآن، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

دار الوفاء للثقافة والإعلام

قبل أن ندخل في بحث مضامين سورة الفاتحة المباركة الشريفة، نقدم البحث بمدخلين وهما:

الأمر الإلهي بالاستعاذة

المدخل

الإنسان كائن حر الإرادة، ويمتلك حرية الاختيار فيما يفعله وفيما يتركه، فهو بعد أن يدرس النواحي المختلفة لموضوع ما، يختار فعله أو تركه بكامل إرادته واختياره، فهو بحسب التكوين غير مجبور على الفعل والترك، ولهذا تصبح محاسبته ومجازاته بالثواب والعقاب في الدنيا من قبل الناس، وفي الآخرة من قبل الله رب العباد، الذي خلق الإنسان بقدرته وحكمته وواسع رحمته، ليحاسبه ويجازيه على عمله بعدله وإحسانه.

قول الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ

---

١. القصص: ٨٤

اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

وللإنسان مع حرية الإرادة وموهبة الاختيار، قابلية التربية والتأديب، فهو إما أن يسلك طريق الرشد والاستقامة والتكامل، فيصعد في إنسانيته ويتكامل، ويقطع منازل القرب من ربه ذي الجلال والإكرام، حتى يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وإما أن يسلك طريق الغي والانحراف والهبوط حتى ينسلخ من إنسانيته ويكون في حقيقة وجوده حيواناً في صورة إنسان، وفي الآخرة يكون في مكان سحيق بعيد عن الله مالك الملك، وله في جهنم عذاب أليم.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[2]

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[3]

وقول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[4]

الإنسان بين تصرفين

ونحن إذ نقف على الحقيقتين السابقتين عن الإنسان وهما: الاختيار والقابلية للتربية والتأديب،، ندرك بوضوح تام: أن الإنسان في حقيقة أمر وجوده وواقع تكوينه - وكما نطقت بذلك النصوص المعصومة - واقع في كل كلمة ينطق بها، وفي كل حركة إرادية تصدر عنه، وفي كل سكون. كذلك؛ واقع بين

---

١. يونس: ٢٦-٢٧

٢. القمر: ٥٤-٥٥

٣. الأعراف: ١٧٩

٤. الفرقان: ٤٣-٤٤

تصرفين: تصرف الشيطان، وتصرف الرحمن، الرحمن يرفعه، والشيطان يهوي به إلى مكان سحيق.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن للقلب أذنين، فإذا هّم العبد بذنب قال له روح الإيمان: لا تفعل، وقال له الشيطان: افعل»[1]

فالإنسان في كل خلجة قلب، وفي كل طرفة عين، وفي كل كلمة نطق بها، وفي كل حركة تصدر عنه، وفي كل سكون، أي كل حالة من حالات حياته: إما أن يكون رحمانياً، فيصعد نحو الملكوت الأعلى، ويقطع منازل الكمال الإنساني والقرب الربوبي، ويكون يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر، في الجنة. وإما أن يكون شيطانياً فيهبط إلى الدرك الأسفل، فينسلخ من إنسانيته، ويبتعد عن ربه الرحمن الرحيم، ويهوي يوم القيامة إلى الحُطمة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾[2]

ولهذا أمر الله الرب الرحمن الرحيم، أمر الإنسان بالاستعاذة بالله من الشيطان الغوي الرجيم، من أجل أن يخرج الإنسان من تحت تصرف الشيطان وحكومته، ويدخل تحت تصرف الرحمن وحكومته، ليصبح إنساناً حقيقياً ويصعد في منازل الكمال الإنساني والقرب والزلفى من الله العلي الأعلى ذي الجلال والإكرام سبحانه وتعالى عما يصف الظالمون علواً كبيراً.

من خلال ما سبق، ندرك أن الاستعاذة تتألف من عمليتين رئيسيتين، وهما:

العملية الأولى: الهروب من الشيطان.

العملية الثانية: اللّجوء إلى الله القوي العزيز.

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٢٦٧

٢. الهمزة: ٥-٩

الجدّية في الاستعاذة

وسوف نتحدث عن هذا الموضوع أكثر بعد قليل، إلا أن المهم أن يحرص الإنسان كثيراً على أن تكون استعاذته حقيقية وجدية في طلب النتيجة، وبدون الاستعاذة الحقيقية والجدية، فإن الإنسان سوف يبقى لعبة بيد الشيطان، ولقمة سائغة في فمه المسموم.

لو قال الإنسان: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ولم يخرج عملياً وفعلياً بعقله وقلبه وأقواله وأفعاله من تحت تصرف الشيطان وحكومته، ولم يدخل عملياً وفعلياً بعقله وقلبه وأقواله وأفعاله تحت تصرف الرحمن وحكومته، كان كاذباً في استعاذته.

وفي هذه الحالة تكون الاستعاذة نفسها ملقاة من الشيطان وجارية منه على لسان الإنسان لتعزيز سلطة الشيطان الغوي الرجيم على روح الإنسان، وعقله وقلبه وجوارحه،، في حياته وكامل وجوده، ويكون الإنسان في هذه الحالة لاعناً لنفسه، ومطروداً من قبل الرب العزيز الجبار ومن ساحة قدسه، ويكون موضع سخرية الشيطان الغوي الرجيم وواستهزائه، ومن جنود الشيطان وأوليائه وفي حزبه، ومحققاً لأمانيه وأهدافه الخبيثة العدائية للإنسان في الحياة.

فائدة مهمة

ونستفيد مما سبق، أن الإنسان يجب أن يبقى متشبثاً بمكوثه داخل دائرة الشرع، وفي ساحة ولاية الله العزيز الحميد، وساحة طاعته وهو السميع البصير، وأن يسلم حكومة وجوده كلها إلى الحق، فيصدق في التوجه وبذل العبودية إلى سيده ومولاه، ويفنى في عز الربوبية، وأن يرابط بكل يقظة وانتباه، وبكل عزيمة وقوة على حدود مملكة العقل والقلب والنفس،، أي أن يرابط على حدود مملكة وجوده الإنساني، وأن لا يسمح للشيطان الغوي الرجيم، بالدخول إلى ساحتها المقدسة المحرم عليه دخولها، وأن لا يسمح له بانتهاك حرماتها، وسرقة خزائنها النفيسة التي لا يمكن تعويضها بأي ثمن كان من أثمان الدنيا،

فليس لنفس الإنسان ثمن أقل من الجنة.

إن إبليس اللعين الرجيم يرتكب إثماً عظيماً وجرماً كبيراً بدخوله إلى ذلك الحرم المقدس والبيت الحرام الذي هو بيت الرحمن، فعلينا أن نرابط بقوة وعزيمة ويقظة وانتباه على حدود هذا الحرم المقدس والبيت الحرام، ولا نسمح للشيطان بدخوله واحتلاله والعبث بمحتوياته وكنوزه النفيسة التي لا يمكن أن تقدر بأي ثمن مادي مهما كبر وتضخم في أعيننا.

فعلى الإنسان أن يصون عقله، ويمنع الشيطان بكل إرادة وتصميم من السيطرة على عقله والتلاعب به عن طريق الغضب، أو السكر أو بأي نحو من الأنحاء، ليبقى العقل رسول الرحمن الأول للإنسان، والقائد الحقيقي والدليل المأمون له في الأمور كلها وفي ساحة الحياة بأجمعها،، بالإضافة إلى الدين والفطرة، وأن يصون قلبه من ظلمات التصورات والوساوس والتخيلات والأوهام الشيطانية وإضلالها، فيفسح المجال لإشراق نور الحق، ورؤية الحقائق، ورؤية سر الملكوت الأعلى والأمور الإلهية،، ورؤية هديها، وأن يصون نفسه من الاستهواء والطيش والـغرور والانـغماس في الشهوات والملذات، وأن يتجنب ما يرضي الشيطان ويسمح له بالدخول إلى نفسه واحتلالها والسيطرة عليها والعبث بمحتوياتها وكنوزها الثمينة،، وتخريبها لتبقى الروح طاهرة نقية صافية، ويبقى القلب كذلك، وليكون القلب سكناً صالحاً للروح القدس، ويكون الروح القدس مُصلحا لوجود الإنسان وكيانه بالكامل، هدانا الله جميعاً برحمته الواسعة إلى الرشد والصواب وأخذ بأيدينا في الأمور كلها.

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى، أيد المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يُحسن فيه ويتقي، وتغيب عنه كل وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتز سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرأً همّ بخير فعمله، أو همّ بشر فارتدع عنه، ثم قال: نحن نؤيد الروح

بالطاعة لله والعمل له»[1].

إن على الإنسان أن يجتهد ويحرص كل الحرص على تحقيق المراد الحقيقي من الاستعاذة، بالهروب الجدي الصادق من الشيطان الغوي الرجيم، والخروج من حكومته، واللجوء الجدي الصادق إلى الله الرب المحمود الرحمن الرحيم والدخول المطلق في حكومته، من خلال التوجه الصادق والجدية التامة في أن يفني العبد نفسه في تلك العبودية وعز الربوبية، بحيث لا يرى لنفسه وجوداً في مقابل وجوده تعالى، والانقطاع المطلق له جلّ جلاله عما سواه، وعبادته وحده لا شريك له، وطاعته المطلقة في كل أمره ونهيه، وأن يحذر الإنسان كل الحذر من قول الاستعاذة على سبيل العادة دون الانتباه إلى حقيقتها وغايتها الفعلية المطلوب من الإنسان تحقيقها منها.

إن الإنسان بمقدار ما يمكث في ساحة ولاية الله وطاعته، التي هي ساحة العقل والشرع وطاعتهما، بمقدار ما يكون أكمل في إنسانيته وأقرب إلى ربه، ويكون أكثر قيمة في وجوده، لأن شرف كل شيء وقيمته، يتحدد بنوع علاقته مع الله جلّ جلاله.

وقربه منه، حتى بالجمادات كالمساجد والتربة الحسينية، والحيوانات كالهدي في الحج فضلاً عن الإنسان كالأنبياء والأوصياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وبمقدار ما يخرج الإنسان عن ساحة ولاية الله عز وجل وطاعته، فإنه يدخل تلقائياً إلى ساحة الشيطان وولايته، التي هي ساحة الهوى والشهوات والطيش والأمل الطويل والركون إلى الدنيا وقلة العمل والكسل والخمول و... الخ، ويخسر الإنسان بمقدار ذلك نصيباً من إنسانيته وسعادته وكماله وقيمته، فيكون بمقدار ذلك فقيراً في إنسانيته، صغيراً حقيراً في وجوده، ويقترب من غضب الله العزيز الجبار وسخطه الذي لا تقوم له السماوات والأرض، ويقترب

١. الكافي، ج ٢، ص ٢٦٨

من النار الحطمة التي سجرها اللّه الجبار لغضبه يوم القيامة.

أيها الأحبة الأعـزاء: إن أكمل البشر، وأفضلهم منزلة، وأكبرهم قيمة، وأغناهم وجوداً، وأقربهم مكاناً عند الله جل جلاله، وأوفرهم نصيباً من السعادة المعنوية في الدنيا والآخرة، هم: الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، حيث بلغوا جميعاً ذروة الكمال العقلي ومنتهاه، والسيطرة التامة الكاملة على النفس والقلب، ولا يخرجون قيد شعرة في شيء عن طاعة الله عز وجل ولا يفارقونه؛ بل تتحد إرادتهم مع إرادته تبارك وتعالى في كل الأمور الخاصة والعامة، ولا يخالفونها في شيء مهما دق وصغر، وللمؤمنين فيهم الأسوة الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]

وجاء في الزيارة الجامعة عن الإمام الرضا عليه السلام: «السلام على أولياء الله وأصفيائه، السلام على أمناء الله وأحبائه، السلام على أنصار الله وخلفائه، السلام على محال معرفة الله، السلام على مساكن ذكر الله، السلام على مظهري أمر الله ونهيه، السالم على الدعاة إلى الله، السلام على المستقرين في مرضاة الله، السلام على المخلصين في طاعة الله، السلام على الأدلاء على الله، السلام على الذين من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، ومن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله، ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله، ومن تخلى منهم فقد تخلى من الله عز وجل، وأشهد الله أني سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم، مؤمن بسركم وعلانيتكم، مفوض في ذلك كله إليكم، لعن الله عدو آل محمد من الجن والإنس، وأبرأ إلى الله منهم، وصلى الله على محمد وآله».

---

١. الأحزاب: ٢١

وجوه الاستعاذة في القرآن الكريم والحديث الشريف

وقد جاء الأمر من الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم، ومن الرسول الأعظم الأكرم ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين المنتجبين عليهم السلام بالاستعاذة على وجهين، وهما:

الوجه الأول: الاستعاذة المطلقة

هي لعموم التوجه والسلوك إلى الله تبارك وتعالى، ولدفع جميع الشرور والآفات الروحية والجسمانية التي تقف في وجه غايات الإنسان المشروعة في الدين والدنيا والآخرة، وتقطع عليه طريق السعادة والسرور في الدارين، وهي آفات كثيرة لا حصر لها وغير متناهية كما سيوضح بعد قليل.

قول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ۝٢٠١ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[2]

---

١. الأعراف: ٢٠٠-٢٠٢

٢. سورة الفلق

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[١]

وسوف نقف في بحث أركان الاستعاذة على دلالات الاستعاذة في هذه السورة الشريفة المباركة.

وقد حكى الله تبارك وتعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢]

وحكى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٣]

وحكى الله تبارك وتعالى عنه عليه السلام لما قال له إخوته وهم يجهلونه خذ أحدنا مكانه: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾[٤]

وحكى الله تبارك وتعالى عن نبيه موسى عليه السلام لما أمر قومه بذبح البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٥]

و حكى الله تبارك وتعالى عنه قوله عليه السلام لما خوفه القوم بالقتل: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۝٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[٦]

و حكى الله تبارك وتعالى عن مريم بنت عمران عليها السلام لما رأت جبرئيل عليه السلام

---

١. سورة الناس

٢. هود: ٤٧

٣. يوسف: ٢٣

٤. يوسف: ٧٩

٥. البقرة: ٦٧

٦. غافر: ٢٦-٢٧

في صورة بشر يقصدها في الخلوة: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[١]

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أغلقوا أبواب المعصية بالاستعاذة، وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية»[٢].

وقال عليه السلام: «لا تدع في دبر كل صلاة: أعيذ نفسي وما رزقني ربي بالله الواحد الصمد - حتى تختمها - وأعيذ نفسي وما رزقني ربي برب الفلق - حتى تختمها - وأعيذ نفسي وما رزقني ربي برب الناس - حتى تختمها»[٣].

وعن علي بن مهزيار قال: كتب محمد بن إبراهيم على أبي الحسن عليه السلام: إن رأيت يا سيدي أن تعلمني دعاء أدعو به في دبر صلواتي يجمع الله لي به خير الدنيا والآخرة، فكتب عليه السلام تقول: «أعوذ بوجهك الكريم وعزتك التي لا ترام وقدرتك التي لا يمتنع منها شيء من شر الدنيا والآخرة ومن شر الأوجاع كلها»[٤].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك، أو أضل في هداك، أو أضام في سلطانك، أو أضطهد والأمر لك»[٥].

وقال عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من أن تحسن في لامعة العيون علانيتي، وتقبح فيما أبطن لك سريرتي»[٦].

وقال عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء

---

١. مريم: ١٦-١٧

٢. نفحات الرحمن، ج ١، ص ٣٦

٣. الكافي، ج ٣، كتاب الصلاة، باب: التعقيب بعد الصلاة والدعاء، ح ٢٧، ص ٣٤٦

٤. نفس المصدر، ح ٢٨، ص ٣٤٦

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٥

٦. نهج البلاغة، قصار الحكم

المنظر في الأهل والمال والولد»[1].

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في الاستعاذة: «اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص، وسوء الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر، وقلة القناعة، وشكاسة الخلق، وإلحاح الشهوة، وملكة الحمية، ومتابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وإيثار الباطل على الحق، والإصرار على المآثم، واستصغار المعصية، واستكثار الطاعة، ومباهاة المكثرين، والإزراء بالمقلين، وسوء الولاية لمن تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا، أو أن نعضد ظالماً، أو نخذل ملهوفاً، أو أن نروم ما ليس لنا بحق، أو أن نقول في العلم بغير علم، ونعوذ بك أن ننطوي على غش أحد، وأن نعجب بأعمالنا، ونمد في آمالنا ونعوذ بك من سوء السريرة، واحتقار الصغيرة، وأن يستحوذ علينا الشيطان، أو ينكبنا الزمان، أو يتهضمنا السلطان، ونعوذ بك من تناول الإسراف، ومن فقدان الكفاف، ونعوذ بك من شماتة الأعداء، ومن الفقر على الأكفاء، ومن ومعيشة في شدة، وميتة على غير عدة، ونعوذ بك من الحسرة العظمى والمصيبة الكبرى، واشقى الشقاء، وسوء المآب، وحرمان الثواب، وحلول العقاب، اللهم صلى على محمد وآله، وأعذني من كل ذلك برحمتك وجميع المؤمنين يا أرحم الراحمين»[2].

وقيل: «إذا أراد أن يتخلى لقضاء الحاجة والدخول على الخلاء، فليغط رأسه، ويدخل رجله اليسرى قبل اليمني»[3]، وقيل كذلك: «من كثر عليه السهو في الصلاة، فليقل إذا دخل الخلاء: بسم الله وبالله، أعوذ بالله من الرجس النجس الخبث المخبث الشيطان الرجيم».[4]

---

١. نفس المصدر، الخطبة ٤٦

٢. الصحيفة السجادية

٣. بحار الأنوار، ج ٨٠، باب آداب الخلوة، ص ١٨٠

٤. وسائل الشيعة، ج ١، باب أحكام الخلوة، ح ٨، ص ٢١٧

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا دخلت المخرج وأنت تريد الغائط فقل: بسم الله وبالله، أعوذ بالله من الرجس النجس الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم»[1].

«لا يعجزن أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول: أعوذ بك من الرجس النجس الخبث المخبث الشيطان الرجيم».[2]

معاني المفردات في الحديث الشريف المبارك

الرجس: يعني القذر.

الخبيث: يعني ذو الخبث في نفسه، وخبث الشيء: صار فاسداً رديئاً مكروهاً، ويطلق على الحرام كالزنا، وعلى الرديء المستكره طعمه أو ريحه، والأخبثان: البول والغائط.

المخبث: يعني الذي يعلم أتباعه الخبث ويوقعهم فيه.

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله دعا بهذا الدعاء: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر»[3].

من دعائه صلى الله عليه وآله: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال»[4].

ضَلَع الدين: أي ثقل الدين.

من دعائه صلى الله عليه وآله: «اللهم إني أعوذ بك من القلة والفقر والذلة، وأعوذ بك أن

---

١. بحار الأنوار، ج ٨٠، ص ١٧٩

٢. كنز العمال، ج ٩، ح ٢٦٤٠٥، ص ٣٥٢

٣. سنن النسائي، كتاب الاستعاذة، ج ٨، ص ٢٥٦

٤. نفس المصدر، ص ٢٥٨

أظلم أو أظلم»[1].

من دعائه ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء»[2].

من دعائه ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت، ومن شر مالم أعلم بعد»[3].

فهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة جميعها دالة على أن الأنبياء عليهم السلام، ومن يحذو حذوهم من الأولياء والعباد الصالحين، كانوا أبداً وفي جميع الحالات في الاستعاذة بالله السميع العليم القوي العزيز، من شرور شياطين الجن والإنس، ومن جميع الشرور والآفات.

أضواء قرآنية للتمييز بين عدوين في المعاملة

قول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4]

وقول الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[5]

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

---

١. نفس المصدر، ص ٢٦١

٢. نفس المصدر، ص ٢٦٥

٣. نفس المصدر، ص ٢٨١

٤. الأعراف: ١٩٩-٢٠٠

٥. المؤمنون: ٩٦-٩٨

الْعَلِيمُ﴾[1]

في هذه المواضيع الثلاثة من القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، نجد أن الله جل جلاله يأمرنا بمصانعة الذين نختلف معهم من عامة الناس ونداريهم ونحسن معاملتهم، من أجل الحصول على الموالاة والمصافاة والمحبة وكسب المودة بيننا وبينهم، كأحد الوسائل للتأثير فيهم وتغيير مواقفهم العدائية في سبيل هدايتهم إلى الحق.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مجاملة الناس (المعاملة الحسنة وعرفان الجميل) ثلث العقل»[2].

وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «التودد إلى الناس نصف العقل»[3].

وقال صلى الله عليه وآله: «ثلاث يصفين ود المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه»[4].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من كف يده عن الناس فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيدياً كثيرة»[5].

فمن شأن المصانعة والمداراة وعرفان الجميل والإحسان إلى الناس العاديين وفي الغالب الأعم، من شأن ذلك أن يوقظ المشاعر الإنسانية لديهم، ويفجر في داخل أنفسهم السليمة ينابيع الخير والطيبة والمحبة والعدل والإحسان، ويدفعهم لمحاسبة أنفسهم على ما اقترفوه من الإساءة والأخطاء، فيعودوا إلى الحق والصواب والخير والعدل والهدى، ويرفضوا الباطل والأعمال

١. فصلت: ٣٤-٣٦
٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٤٣
٣. نفس المصدر
٤. نفس المصدر
٥. نفس المصدر

الخاطئة والشر والظلم والضلال، وذلك استناداً إلى أصل الفطرة التي فطر الله العدل الحكيم الناس عليها، وهي تدفع الإنسان السوي الذي حافظ على أصل فطرته نقية سليمة من الخبث والتلوث الشيطاني والاستكباري، تدفعه إلى مقابلة الإحسان بمثله وحفظ الجميل.

الحذر من الشيطان الرجيم: ولكن الآيات الشريفة المباركة نفسها - أيها الأحبة العزاء - تأمرنا بالاستعاذة من الشيطان الغوي الرجيم، حيث استحكمت عداوته للإنسان فلا يقبل مصانعة ولا إحسان، لأنه لا يبتغي غير إضلال الإنسان وإهلاكه وشقائه في الدنيا والآخرة، ويصر على ذلك حسداً من عند نفسه، لأن الله الحكيم فضل الإنسان عليه، وقد قاده غروره واستكباره إلى معصية الله الجبار العزيز الحميد، برفضه السجود لآدم عليه السلام كما أمره ربه العزيز الجبار، وحاوره الرب الرحيم وكشف له خطأه وعظيم ذنبه، وبدلاً من أن يندم ويتوب من ذنبه ويعود إلى ربه، أصر واستكبر وهدد وتوعد بإضلال الإنسان وإبعاده عن ربه، فكان أن طرده رب العزة والجلال من ساحة القرب والقداسة التي لا ينبغي فيها التكبر والمعصية، وحذر الإنسان منه وأمره بأن يتخذه عدوا ويستعيذ بالله العزيز القهار منه.

قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ

١. الأعراف: ١١-١٨

مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]

ولهذا لا ينبغي مداراة الشيطان، وإنما تجب معصيته ومجابهته واتخاذه عدواً، والاستعاذة بالله رب العالمين منه.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[3]

---

١. الحجر: ٢٨-٤٤

٢. ص: ٧١-٨٥

٣. فاطر: ٦

وقول الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[1]

أيها الأحبة الأعزاء: لقد أقسم إبليس الغوي الرجيم عليه اللعنة إلى يوم الدين، أقسم لأبينا آدم عليه السلام من وراء عداوته له وبغضه، أنه له من الناصحين، ودلاه بغرور وكذب عليه وأخرجه من الجنة التي أسكنه الله الرب الرحيم فيها، ومن النعيم الذي كان فيه هو وزوجه، أخرج أبانا آدم وأمنا حواء عليهما السلام من الجنة التي كانا فيها على الأرض، من أجل غواية ذريتهما، ولكي يأخذ نصيبه منهم معه على النار. نعوذ بالله العظيم من هذا المصير الأسود المشؤوم.

قول الله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]

أيها الأحبة الأعزاء: إذا كانت تلك معاملته مع أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، وقد أقسم لهما أن يكون لهما من الناصحين، فكيف تكون معاملته لنا وقد أقسم

---

١. الكهف: ٥٠

٢. الأعراف: ١٩-٢٧

بين يدي الله العزيز الجبار بكل جرأة ووقاحة: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1] كيف تكون معاملته لنا نحن البشر أبناء آدم وحواء عليهما السلام، وقد أعلن عن شديد عداوته وخصومته لنا، وأقسم بين يدي الجبار أن يكيدنا حتى يغوينا ويصرفنا عن الصراط المستقيم والنهج القويم، ونحن نعلم عظيم كيده، وخفاء مكره، وأنه يرانا ولا نراه؟؟

نعوذ بالله العلي العظيم العزيز الحميد منه ومن شروره.

أيها الأحبة الأعزاء: إن سوء معاملته وعداوته لنا فوق ما نتصور!! ونحن نعلم عظيم كيده، وخفاء مكره، وأنه لا قوة لنا عليه إلا بالله الذي خلقه ويراه ويحيط بما لديه علماً وهو لا يراه ولا يعلم ما في نفسه والله هو السميع العليم القوي العزيز القاهر فوق عباده جميعاً، فعلينا أن نستعيذ بالله جلّ جلاله منه ومن شروره استعاذة جدّية حقيقية، تخرجنا من ساحته وحكومته، وتدخلنا في ساحة الرحمن وحكومته، فإنه لا قوة لنا على الشيطان إلا بالله القوي العزيز الجبار، فليس لنا إلا الحذر كل الحذر من إبليس اللعين الرجيم ومكائده وخدعه، واستنفار قوانا الداخلية لمجابهته والانتصار عليه، والاستعاذة بالله الواحد القهار من شره، ومن شر وساوسه وحبائله وخدعه وأمانيه، ومن شر أوليائه وإخوانه وشيعته وأعوانه من الفراعنة والطواغيت والمفسدين في الأرض والسيئين، وجنوده من داخل أنفسنا: الهوى والشهوات والغضب، وأن نحذر منهم جميعاً، وأن نتخذهم أعداءً كما أمرنا ربّنا بذلك.

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[2]

الحذر من الطواغيت والفراعنة وقوى الاستكبار

نعم **أيها الأحبة الأعزاء:** في الوقت الذي يجب علينا الحذر من الشيطان

---

١. ص: ٨٢-٨٣

٢. البقرة: ١٦٨ و٢٠٨ - الأنعام: ١٤٢

الغوي الرجيم وعدم مداراته واتخاذه عدواً حقيقياً صارماً في عداوته يجب علينا الحذر من إخوانه وأوليائه وشيعته من الفراعنة والطواغيت السيئين وقوى الاستكبار العالمي وبنفس القدر، وعدم الاستسلام إليهم ضعفاً تحت تأثير الخوف أو الطمع أو الانخداع بهم، لأن هؤلاء ليسوا أناساً عاديين فنعاملهم معاملة الناس العاديين الأسوياء، فقد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله تبارك وتعالى والآخرة، وأعمى أبصارهم عن رؤية الحق ورؤية المصير القريب والبعيد في الدنيا والآخـرة، وأفسد فطرتهم وضمائرهم ووجدانهم الأخلاقي، فأصبحوا نسخة طبق الأصل من الشيطان الغوي الرجيم، لا يختلفون عنه في منطلقاتهم وأهدافهم ووسائلهم، وينبغي أن نتعامل معهم على هذا الأساس، فهم لا يحبون الخير للناس والشعوب، ولا يرتدعون عن الشر والإسـاءة، ولا يتحركون من منطلق الحق والاستقامة والصواب والخير والعدل والمصلحة العامة فيما يتركون ويفعلون في قضايا الناس والشعوب وهمومهم، وإنما من منطلق البغي والظلم والعدوان والصداقة للشيطان وإرضاء أنفسهم الخبيثة الأمارة بالسوء، ولا يسعون إلا للاحتفاظ بمكتسباتهم المحرمة، وامتيازاتهم غير المشروعة، وإشباع شهواتهم ونزواتهم وغرور أنفسهم الخبيثة وتطلعاتها الحمقى للحياة، وهم أناس متعصبون تحركهم العصبيات والحميات الجاهلية، وهم غير متخلقين بالأخلاق الإنسانية الكريمة، ولا يقيمون لها وللقيم الإنسانية الرفيعة وحقوق الإنسان وزناً، ولا يؤمنون بالحوار والتكافؤ بين الناس في الفرص والذمم، ولا يؤمنون بأي قاعدة للتفكير المنطقي والصواب في القول والعمل، ولا تنفع معهم حجة ولا موعظة ولا نصيحة ولا إرشاد، فهم يضعون كل ذلك وراء ظهورهم، ويقتلون الأبرياء ويسجنونهم ويشردونهم وينهبون أموالهم وثرواتهم ويعيثون في الأرض فساداً بدم بارد من أجل الثروة والرئاسة والسلطة والزعامة والتحكم، ويرون الإحسان والعفو والتعامل بالأخلاق مع الناس والشعوب ضعفاً.

ولهذا فهم لا يتعاملون بها مع الناس والشعوب، وإذا عوملوا بها زادهم ذلك

جرأة على الإساءة والظلم والفساد، بسبب ما في أنفسهم من اللؤم والخبث والوقاحة.

قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[1]

فليس ينفع معهم إلا الضغط والمقاومة، ولا تصح الثقة بهم، ولا التعامل معهم على أساس المجاملة وحسن النوايا، فقد أثبتت التجارب التاريخية والمعاصرة، أنهم لا يقدمون من التنازلات عن مكتسباتهم المحرمة وامتيازاتهم غير المشروعة، ولا يعطون من الحقوق العادلة والمكتسبات المشروعة للناس والشعوب، إلا بمقدار ما يجبرون عليه، وما لا يجدون بداً من التنازل عنه. فلا يصح الاستسلام لهم ضعفاً تحت طائلة الترهيب والترغيب، ولا التسليم بالأمر الواقع المنحرف والظالم الذي يحاولون فرضه على الناس والشعوب بالإرهاب وبالحديد والنار، فما يرغبون به ويعطونه لمن يستجيب لهم، لا قيمة له عند الشرفاء والشعوب بالمقارنة مع ما يأخذونه منهم ويسلبونهم إياه لا سيما الكرامة الإنسانية والحياة الكريمة، فلا يقبله منهم إلا المتسلقون الذين يأخذون ولا يعطون، ويعبرون على أكتاف الآخرين وجماجمهم إلى مقاصدهم، ويغنّون طرباً في هوى المصالح على أحزان المستضعفين وآلامهم، ولا يقيمون وزناً للآخرة وللمصالح العامة: الدينية والوطنية، ولا تهمهم إلا أنفسهم والحياة الدنيا. كما لا قيمة لما يخوفون به بالمقارنة مع ما تطمح إليه الشعوب من الحياة الكريمة والكرامة الإنسانية، وما تطالب به من الحقوق العادلة والمكتسبات المشروعة، فلا يخضع إليهم إلا الضعفاء المنبطحون الذين لا يملكون قوة ولا إرادة ولا شرفًا ولا كرامة، ولا يقوون على الجهاد والمقاومة. أما الشرفاء الذين يملكون القوة والإرادة والكرامة، ويقدّمون الآخرة على الدنيا، ويقدّمون القيم والمصالح الروحية والمعنوية على القيم والمصالح المادية، كما يقدّمون المصالح العامة على المصالح الخاصة، ويفرحون ويحزنون للآخرين أكثر مما يفرحون ويحزنون

---

١. الأعراف: ٥٨

لأنفسهم، ويعطون أكثر مما يأخذون، فهؤلاء يفضلون الجهاد والمقاومة حتى الشهادة، أو تتحقق للشعوب مطالبهم وكرامتهم، ويحصلوا على حقوقهم العادلة ومكتسباتهم المشروعة التي تضمن لهم الحياة الإنسانية الكريمة، ويجتثوا الظلم والفساد والانحراف من فوق الأرض.

إنه لا سبيل للتعامل مع الفراعنة والطواغيت وقوى الاستكبار العالمي السيئين، إلا بالضغط عليهم ومقاومة مشاريعهم الظالمة المظلمة المنحرفة، لردعهم عن غيهم وعن الظلم والفساد في الأرض، وإجبارهم على التزام الحق والعدل والمصالح العامة للناس والشعوب.

من التجارب القرآنية

لنأخذ واحدة من أهم التجارب الواضحة التي عرضها لنا القرآن الكريم وقدمها لنا في أحسن بيان، وهي التالي:

لما أرسل جلّ جلاله نبيه العظيم موسى بن عمران وأخاه هارون عليهما السلام إلى فرعون، وأمرهما بمداراته ومراعاته كما هي المعاملة في الأساس مع الإنسان السوي، وأن لا يغلظا عليه في القول والفعل.

قال الله تعالى مخاطباً موسى وهارون عليهما السلام ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۝٤٣ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[1]

ولما جاءا عليهما السلام إلى فرعون، وفعلا ما أمرهما الله تعالى به، وقدّما إليه الدليل القطعي على رسالتهما من الله تبارك وتعالى، وهي معاجز كبيرة يطير لهولها وعظمتها ووضوح دلالتها لب الإنسان السوي. ماذا فعل فرعون وكيف قابلهما وتصرف معهما؟

لقد سخر منهما وقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[2]

---

١. طه: ٤٣-٤٤

٢. الشعراء: ٢٧

ثم هّدد نبي الله موسى عليه السلام بالقتل علواً واستكباراً، بدلا من الاستجابة لما جاءه من الحق الصريح من عند الله العزيز الحكيم على لسان النبيين الكريمين: موسى وهارون عليهما السلام، متذرعاً بالحرص على مصالح الأمة والشعب كذباً وزوراً، كما هو الحال دائماً في التاريخ لدى الحكام المستبدين الظلمة، الذين يتذرعون بالحرص على المصالح الوطنية لتكريس الأمر الواقع المنحرف والظالم، وسلب الحقوق العادلة للشعوب ومكتسباتهم التاريخية المشروعة، ولتبرير القتل والنهب والسجن والتهجير للشرفاء من الوطن.

قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[1]

وواصل فرعون المجرم حربه على موسى بن عمران عليه السلام، ولم يستجب للمطالب العادلة المشروعة لبني إسرائيل رغم عدالتها وواقعيتها، ورغم قيام الدليل القطعي على أن موسى عليه السلام رسول رب العالمين، وذلك بسبب شهوة الحكم المطلق لدى فرعون، والرغبة الجامحة في استعباد الناس وإذلالهم ونهب ثرواتهم وتسخير طاقاتهم لخدمة أغراضه الشخصية الحقيرة، ولم يخرج من سكرته وغروره إلا بعد أن أدركه الغرق.

وهذا هو حال جميع الطواغيت والفراعنة في كل زمان ومكان، فإنهم لا يتعظون بالتجارب التي يمرون بها ويمر بها إخوانهم من الفراعة والطواغيت في الماضي والحاضر مهما كانت بليغة وواضحة، لأن عيونهم وآذانهم وقلوبهم مغلقة عن رؤية الحقائق والوقائع والمصير، ويعيشون جنون العظمة المزيفة، والخيالات الوهمية، والتطلعات الأنانية السوداوية، المنطلقة من النفوس الخبيثة، والعقول المريضة، والقلوب المظلمة، والوساوس الشيطانية، ومن الحمق والغرور.

قول الله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا

١. غافر: ٢٦

وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1]

من تجارب السيرة النبوية الطاهرة

لنا في الرسول الأعظم الأكرم ﷺ أسوة حسنة، ففي فتح مكة المكرمة، ظن الأعداء والأصدقاء بأن الرسول الأعظم الأكرم ﷺ سوف يسفك دماء الأعداء من المشركين الذين أذاقوا المؤمنين ألوان الأذى والعذاب في مكة، وقد استعجل أحد القادة البارزين وهو «سعد بن عبادة» فرفع شعار: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى (أو: تستحل) الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً» فما كان من الرسول الأعظم الأكرم ﷺ إلا أن أسرع باستبدال الشعار بشعار آخر يفيض بالحكمة والإحسان ومكارم الأخلاق، وهو شعار: «اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله قريشاً» وعفا عن خصوم الأمس وقال ﷺ: «لا أقول لكم إلا كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وأطلق كلمته المشهورة: «أذهبوا فأنتم الطلقاء».

لكنه ﷺ قد استثنى خمسة أشخاص من العفو العام الذي أعلنه، وأمر بقتلهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة، وهم: عبد الله بن عبد العزي بن خطل، والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصي، والمقيس بن صبابة، وعكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن أبي سرح، وقيل: عشرة أشخاص. وذلك لأنهم كانوا في غاية الأجرام والخيانة، ولم يكونوا يستحقون العفو النبوي الكريم، وقد قتل الثلاثة الأُول، وأما عكرمة فقد فر إلى اليمن ثم عاد فأسلم، وأما عبد الله بن أبي سرح فقد آواه عثمان بن عفان وكان أخوه من الرضاعة، فأستأمن له رسول الله ﷺ، فسكت عنه ساعة ثم أمنه وبايعه، فلما خرج قال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ لأصحابه: «هلا قام بعضكم على هذا الكلب قبل أن أؤمنه فيقتله» قالوا: انتظرنا أن تومي، فقال ﷺ: ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين، وإني ما أقتل بالإشارة.

---

١. يونس: ٩٠-٩١

تنبيه مهم: هذا البحث والأمثلة والتجارب التي ذكرت هي لإثبات وجود فئة من الناس وعلى رأسهم الفراعنة المستبدون المفسدون في الأرض، والطواغيت أئمة الضلال وقادة الانحراف الراسخون في الضلال والانحراف وارتكاب المعاصي والذنوب، أولئك الذين ختم الله تعالى على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، فلا يرون أية آية، ولا يهتدون إلى حجة أو دليل أو برهان منطقي، ولا يسمعون موعظة أو نصيحة، ولا تنفع معهم المداراة، والمعاملة الحسنة بالجميل، لأن الشيطان استحوذ عليهم وأصبحوا من أوليائه وشيعته وإخوانه وجنوده وخدامه، وأصبحوا نسخاً منه وعلى شاكلته وأخلاقه، ويجب أن ينظر إليهم كالنظر إليه في المعاملة، وعدم الاستسلام إليهم، وإنما الضغط عليهم ومقاومة مشاريعهم وأطروحاتهم الظالمة المظلمة المنحرفة من أجل حفظ الدين وتحصيل الحقوق وصيانتها.

وأما تقرير المنهج السلمي أو منهج القوة، الذي ينبغي اتباعه والعمل به لتحصيل الغاية والوصول إلى النهاية، فهو خارج دائرة البحث، وقد تمّ توضيح الموقف الإسلامي في الموضوع بالتفصيل في بحوث أخرى.

الوجه الثاني: الاستعاذة لتلاوة القرآن

قلت قبل قليل إن الإنسان واقع تحت تصرف الشيطان وتصرف الرحمن، وإن أمر الله تبارك وتعالى للإنسان بالاستعاذة المطلقة لكي يخرج الإنسان من تحت تصرف الشيطان ويدخل تحت تصرف الرحمن.

وأما بخصوص تلاوة القرآن فبالإضافة إلى ذلك: فإن قراءة القرآن الكريم الذي أنزله الله الرب الرحم الرحيم من لدنه بالحق والميزان لا عوج فيه مباركاً على قلب الرسول الأعظم الأكرم ﷺ، تبياناً لكل شيء، ونوراً وهدى ورحمة وبصائر، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليكون للعالمين نذيراً، فإن قراءته تفتح قلب الإنسان وعقله على الحق والخير والعدل والسعادة والكرامة في الحياة الدنيا والآخرة، ولابد للإنسان من أن يعيش الانفتاح على القرآن قبل

قراءته ويتعمق في مضامينه وآياته وهو يقرأه، ليرسخ القرآن في عقله وقلبه، وليأخذ منه عقيدته وشريعته ومنهجه وتطلعاته النورانية في الحياة، وليتحرك بالقرآن في كل آفاق الحياة ومجالاتها وميادين العمل فيها، وفي علاقته مع الله رب العالمين وطريق الآخرة: علماً وعملاً وتطبيقاً لأمره ونهيه، وبالتالي فإن الشيطان الغوي الرجيم، وهو العدو اللدود للإنسان، لن يترك الإنسان ينفتح على القرآن وينتفع به في حياته ومن أجل آخرته، فسوف يتدخل ليلهيه عن فهم الحقائق القرآنية العظيمة والتفاعل الإيجابي معها والاستفادة الفعلية منها، وليدفعه إلى أجواء أخرى من الغفلة والضلال والضياع واللهو واللعب، ولا قوة للإنسان ولا طاقة له على مواجهة الشيطان بمفرده والتغلب عليه، ولذلك لابد له من الاستعاذة بالله السميع العليم القوي العزيز من الشيطان الغوي الرجيم العد اللدود للإنسان.

ومن الأهمية بمكان - وكما سبق ذكره - أن نعلم بأن التلفظ بالاستعاذة لا يغني شيئا، ولا قيمة له في تحقيق المطلوب بالفرار من الشيطان والسلوك الجدي إلى الله ذي الجلال والإكرام، والاستفادة الفعلية من القرآن الكريم، وسلوك طريق التربية للنفس والحصول على كمالها وسعادتها، ما لم تنفذ الاستعاذة إلى أعماق الروح بشكل ينفصل فيه الإنسان عند التلاوة عن إرادة الشيطان الغوي الرجيم، وتصير الروح معلقة بعز قدس الله جل جلاله، لترفع عن عقل الإنسان وقلبه موانع فهم القرآن والانتفاع بهن ويخرج الإنسان بصورة فعلية من ساحة الشيطان وحكومته، ويدخل بصورة فعليه في ساحة الرحمن وحكومته في كل الأحوال والشؤون.

تنبيه مهم: وأنبه هنا إلى نقطة غاية في الأهمية وهي: أن حكم الاستعاذة للتلاوة يدلنا، على أن محتوى القرآن المجيد الكريم، على عظمته وجلاله وكرمه ونورانيته في نفسه، لا يكفي لتوجيه عقولها وقلوبنا إليه، ما لم تطهر نفس الإنسان، وتزال الموانع والحجب عن عقله وقلبه. فالقرآن المنزل من عند الله

تبارك وتعالى من العظمة والجلال والكرم والنورانية، بحيث إنه كما قال الله العزيز الحكيم في محكم كتابه المجيد: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، ومع هذه العظمة والجلال والكرم والنورانية للقرآن الحكيم، لابد للسالكين طريق الله ذي الجلال والإكرام، وطريق الآخرة، والتكامل والرشد الإنساني، لابد لهم من مجاهدة النفس دائماً في جميع منازل الطريق، لرفع الحجب المخيمة على عقولهم وقلوبهم، وإزالتها من محيط فكرهم وأرواحهم وكامل وجودهم، ليتمكنوا من تحصيل الفهم النوراني العلمي والعملي للقرآن الكريم في جميع المنازل، والانتفاع الحقيقي من آياته في كل الشؤون، والاستفادة العملية منها في الحياة والسلوك إلى الله تبارك وتعالى، وتحصيل الرشد والكمال الإنساني والسعادة والكرامة في الدنيا والآخرة.

ولابد لقارئ القرآن الكريم من أن يستعيذ من الشيطان الغوي الرجيم، وأن يطهر لسانه ويطيبه مما كان يتعاطاه من اللغو والقول الفاحش والقول السيئ، ومن كل ذكر لغير الله الماجد الواحد الأحد الصمد، وأن يخرج لسانه وكلامه كلّيًا من تحت تصرف الشيطان وسلطانه، لكي يصير لسانه لسان الرحمن، وكلامه كلام الرحمن، ولابد لقارئ القرآن الكريم من المجاهدة لإحكام السيطرة على قلبه وتطهيره من أشواك وساوس الشيطان وظلام تصوراته ورماد محروقاته الخبيث، وأن يستعد لذكر الله نور النور ومنور كل نور، وتلاوة كتابه الكريم الذي لا يمسه إلا المطهرون، والتنور بنور آياته المحكمات، ويتهيأ للحضور بين يدي الله الواحد الماجد ذي الجلال والإكرام، ليجد حلاوة التلاوة، ويصدق عليه أنه يتلو القرآن حقا وحقيقة، ويستفيد الاستفادة العلمية والعملية من محتواه الزاخر بالحقائق الكونية والأنفسية، المفيدة في كافة شؤون الحياة ومجالات العمل فيها، وفي السلوك إلى الله رب العباد سبحانه وتعالى، وتحصيل السعادة

١. الحشر: ٢١

والكمال الإنساني والرشد العبادي.

ويعتبر الرشد العبادي الذي هو صدق التوجه إلى ذل العبودية وعز الربوبية، والخروج الفعلي من ولاية الشيطان وسيطرة النفس الأمارة بالسوء وهيمنتها على سلوك الإنسان واتباع الهوى، هو جوهر السلوك والتربية، فضعف السلوك وقوته، ونجاحه وفشله، وصحته وبطلانه، وكمال الإنسانية ونقيصتها، يتوقف على صحة وقوة ونجاح وكمال التوجه إلى عز الربوبية وذل العبودية، والخروج فعلا من ولاية الشيطان وحكومته، ومخالفة الهوى والنفس الأمارة بالسوء.

فكلما كان النظر على الذات وحبها غالباً، والنظر على جمال الرب المحبوب المطلق وجلاله غائباً، كلما كان العبد بعيداً عن مقام القرب الربوبي والكمال والإنسانية، وخرق هذا الحجاب المظلم القاسي، هو مفتاح أبواب المعارج والعروج في منازل القرب والزلفى من الله ذي الجلال والإكرام، ومفتاح أبواب السعادة والكمال الإنساني والكرامة الإنسانية، وهو أول الشروط لنجاح وصحة السلوك، فكلما كان سلوك السالك في الطريق إلى الرب المحمود بخطوات الأنانية ورؤية النفس وجمالها الموهوم وكمالها المتخيل، كان السلوك باطلاً، وكان الإنسان ناقصاً، وكان سلوكه إلى النفس الضيقة المنغلقة على ذاتها، وإلى الشيطان الغوي الرجيم، وليس إلى الله الرب الرحمن الرحيم الذي منه مبدأ الخلق وإليه المعاد.

قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[1]

ومن جهة ثانية: فإن توجيه الخطاب من الله العلي الأعلى للرسول الأعظم الأكرم ﷺ، وأمره بالاستعاذة عند تلاوة القرآن وهو الطاهر المطهر الذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى دنواً واقترابا من العلي الأعلى، يدل على أن

١. النحل: ٨٩-١٠٠

الاستعاذة لغيره في جميع المنازل أولى وأهم.

وأعود وأؤكد بأن المقصود من الاستعاذة ليس هو التلفظ بالاستعاذة وهو قول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وإنما المقصود والمراد منها هو: إيجاد الحالة الروحية المتصاعدة لدى المستعيذ التي تدل عليها الاستعاذة، والمتولدة من قوة وصدق وكمال التوجه إلى الله الرب المحمود ذي الجلال والإكرام، عن عزم أكيد وإرادة قوية وإخلاص تام، والمخالفة لهوى النفس والشيطان، وعدم الوقوف عند حدود المصالح الخاصة الضيقة وتقديمها على المصالح العامة الدينية والوطنية، والتنازل عن كل المكتسبات المحرمة والامتيازات غير المشروعة وتركها كلياً، وترك العناد والـغرور وحب الذات والدنيا، وعد الركون إلى الملذات والشهوات والتهديد والوعيد مهما كان من أعداء الدين والإنسانية، وعدم الاستسلام للكسل والخمول والنفس الأمارة بالسوء وتسويلات الشيطان، وإزالة كل الحجب النفسانية التي تمنع عن الفهم الصحيح للقرآن الكريم وإدراك حقائقه الكونية والنفسية النورانية العظيمة، والاستفادة من آياته وبيناته ومواعظة وإرشاداته والانتفاع العلمي والعملي منها في كافة شؤون الحياة ومجالات العمل والحركة في الحياة والسلوك إلى ذي الجلال والإكرام بقدم الصدق والإخلاص والمعرفة، وتحصيل الكمال والرشد الإنساني الذي هو طموح كل إنسان عاقل ذو فطرة سليمة طاهرة.

أقسام الاستعاذة للتلاوة

والاستعاذة للتلاوة على قسمين وهما:

القسم الأول - الاستعاذة للتلاوة في الصلاة: إن الرسول الأعظم الأكرم ﷺ كان يقول في الصلاة قبل القراءة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».[1]

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه ذكر دعاء التوجه بعد تكبيرة الإحرام، ثم قال: «ثم

١. بحار الأنوار، ج ٨٥، باب: القراءة وآدابها وأحكامها، ص ٥-٦

تعوّذ من الشيطان الرجيم، ثم اقرأ فاتحة الكتاب».[١]

عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «تعوّذ بعد التوجه من الشيطان تقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم».[٢]

عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه أتاه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، إليك أشكو ما ألقى من الوسوسة في صلاتي، حتى لا أعقل ما صليت من زيادة أو نقصان، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا قمت إلى صلاتك، فخذ فخذك اليسرى، فاطعن بإصبعك اليمنى المسبحة، ثم قل: بسم الله وبالله، توكلت على الله، أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم»[٣].

عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا الله - ثلاثاً- ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه».[٤]

القسم الثاني - الاستعاذة للتلاوة خارج الصلاة: عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

قلت: كيف أقول؟

قال عليه السلام: «تقول: أستعيذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم».

وقال عليه السلام: «إن الرجيم أخبث الشياطين».[٥]

---

١. وسائل الشيعة، ج ٤، باب: الاستعاذة في أوصل الصلاة قبل القراءة وكيفيتها، ح ١، ص ٨٠٠

٢. مستدرك الوسائل، ج ٤، ص ٢١٣

٣. نفس المصدر

٤. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٣

٥. مستدرك الوسائل، ج ٤، باب: استحباب الاستعاذة عند التلاوة وكيفيتها، ص ٢٦٤

عن عبد الله بن عباس قال: «أول آية نزلت، أو أول ما قاله جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله في أمر القرآن، أن قال له: يا محمد قل: استعيذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، ثم قال: قل: بسم الله الرحمن الرحيم. اقرأ باسم ربك الذي خلق».[1]

صيغ الاستعاذة

قد وردت الاستعاذة بصيغ عديدة في كتب الحديث والفقه في مدرسة الخلفاء وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، منها الصيغ التالية:

الصيغة الأولى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[2].

الصيغة الثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم[3].

الصيغة الثالثة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم[4].

الصيغة الرابعة: نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم[5].

الصيغة الخامسة: استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم[6].

الصيغة السادسة: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بالله أن يحضرون[7].

الصيغة السابعة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو الفتاح العليم[8].

---

١. نفس المصدر، ص ٢٦٥

٢. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٣-١٤

٣. مجمع البيان، ج ١، ص ٨٩

٤. جواهر الكلام، ج ٩، ص ٤٢١

٥. بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ٥-٦

٦. مستدرك الوسائل، ج ١، ص ٢٩٣

٧. بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ٥

٨. نفس المصدر

الصيغة الثامنة: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم[1].

معاني المفردات

الاستعاذة: مشتق من العوذ، وله معنيان، وهما:

المعنى الأول: الالتجاء والاستجارة على وجه الخشوع والتذلل. أي استجير بالله والتجئ إلى رحمته وعصمته دون غيره من شر كل ذي شر.

المعنى الثاني: الالتصاق. يقال: أطيب اللحم أعوذه، وهو الملتصق منه بالعظم، والمعنى: ألصق نفسي بفضل الله ورحمته وبجنابه الكريم.

ويكون العوذ والعياذ لدفع الشر، واللياذ لجلب الخير.

الله: اسم علم على الموجود الحق الجامع للصفات الإلهية كلها والذات العلية الواجبة الوجود، وهو الاسم الذي تفرد به سبحانه وتعالى، وهو أول الأسماء وأخصها وأعظمها والجامع للصفات الإلهية كلها: صفات الجمال والجلال والكمال، وليس لغيره من الأسماء هذه الخاصية، وإن كان بعض الأسماء أوسع من البعض الآخر كما سيوضح في بحث البسملة والفاتحة، ولهذا أضافها كلها إليه، ولم يضفه إلى أي اسم منها، فيقال: الرحمن من أسماء الله تعالى، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وقد ورد هذا الاسم: (الله) في القرآن (٩٨٠:مرة).

السميع: مشتق من السمع، وهو إدراك المسموعات من الأصوات وغيرها بجارحة أو بدونها، ويفيد المبالغة في السمع بمعنى: كثير السمع أو البالغ في السمع كماله ومنتهاه، وهو من أسماء الله الحسنى ومعناه: المدرك لكل مسموع وإن خفي صوته وخفيت حقيقته على المخلوقين، وهو يسمع بدون أذن ولا آلة سمع، كما يفعل سبحانه وتعالى بدون جارحة ويتكلم بغير لسان، وتنكشف لديه سبحانه وتعالى حقائق المسموعات كلها انكشافاً تاماً كاملاً، فلا يخفي عليه مسموع في الأرض ولا في السماء مهما كان نوعه، فهو يسمع السر والنجوى،

---

١. فقه السنة، ج ١، ص ١٤٨

ويسمع خطرات القلوب، ومناجاة الضمائر وهواجس النفوس، وما هو أدق من ذلك وأخفى، وقد ذكر اسم (السميع) في القرآن الكريم (أكثر من أربعين مرة).

العليم: مشتق من العلم، وهو إدراك الشيء بحقيقته عن يقين، ويفيد المبالغة في العلم بمعنى: كثير العلم أو البالغ في العلم كماله ومنتهاه، وهو من أسماء الله الحسنى، ومعناه: العليم بجميع المعلومات، يعلم تفاصيل الأمور، ودقائق الأشياء، ويعلم ظاهر الأشياء وبواطنها، وأولها وآخرها، ومبدأها وعاقبتها ومنتهاها، ويعلم خائنة العين وما تخفي الصدور، ويعلم ما في الأرحام وما تكسب كل نفس وبأي أرض تموت، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، عنده علم الغيب، وعلم الساعة، علم ما كان وما سيكون وما لا يكون من الممكنات (على فرض أن هناك من الممكنات ما لم يكن ولن يكون) أن لو كان كيف سيكون، وتنكشف لديه سبحانه وتعالى حقائق المعلومات كلها انكشافاً تاماً كاملاً محيطاً، بحيث لا تخفى عليه خافية، ويبلغ الغاية التي ليس ووراءها غاية في العلم، ولا يتصور ما هو أكثر ظهوراً وانكشافاً منه، وقد ذكر اسم (العليم) في القرآن الكريم (أكثر من مئة وخمسين مرة).

الشيطان: روح شرير ناري، له القدرة على الإضلال والغواية، وهو في غاية المكر ودقة الحيلة وخفائها، يحول بين العباد والطاعة وفعل الخير، ويغري بالمعصية والظلم وفعل الشر، ويموه الأباطيل والأضاليل ويلبسها ثوب الهداية والحقيقة وينشرها بين الناس لكي يخرجهم عن طريق الحق ويدخلهم إلى طريق الباطل والضلال، واللفظ يطلق على كل متمرد مفسد من الجن والإنس، ويقال للحية الخبيثة شيطان الفلوات. وسوف نذكر المزيد من التفاصيل عن الشيطان في البحث بعد قليل.

وقيل في معنى الشيطان أقوال عديدة، منها الأقوال التالية:

القول الأول: إنه مأخوذ من شطن أي بَعُد، أي أن الشيطان بعد عن كل خير، وبعد غوره في الشر، وهو المبعد عن رحمة الله تعالى ورضاه، ويطلق

لفظ الشيطان على كل متمرد من الجن والإنس والدواب لبعدهم عن الرشاد والسداد. ويقال شطن صاحبه: إذا خالفه في قصده ووجهه.

القول الثاني: إنه مأخوذ من شاط يشيط أي مال وبطل وهلك، وذلك لأن الشيطان يميل بقلب ابن آدم عن الحق والصراط المستقيم، وهو مهلك لنفسه وغيره، ومبطل لمصالحه ولمصالح الآخرين.

القول الثالث: إنه مأخوذ من الشاطن أي الخبيث الوضيع، وكل شيطان هو خبيث وضيع، وناقص وحقير.

والشيطنة: فعل الشيطان.

الرجيم: مأخوذ من الرجم؛ وهو الرمي بقول أو فعل.

والرجوم: جمع رجم؛ وهي الحجارة التي يرمي بها.

ورجمه: رماه بالرجم؛ وهي الحجارة الصغيرة، ولعنه وطرده وشتمه.

وقيل في معنى الرجيم قولان، وهما:

القول الأول: بمعنى مفعول أي أنه مرجوم، والمرجوم في اللغة: المطرود والملعون والمشتوم بقول ردي، والمحروم من كل خير.

ووصف الشيطان بكونه مرجوماً، لأنه مرجوم باللعن والشتم والقول الردي، ولأن الله تعالى أمر الملائكة برمي الشياطين كلهم أجمعين بالشهب الثواقب طرداً لهم من عالم السماوات المقدس الطاهر من الخبث والشر والمعاصي، ومنعاً لاستراق الشياطين السمع من عالم الملائكة في السماء.

قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾[1].

ولأن الشيطان محروم من الخير وميؤوس من خيره مطلقاً أيضاً.

---

١. الحجر: ١٦-١٨

القول الثاني: بمعنى فاعل أي راجم، وذلك لأن الشيطان يرجم غيره بالإغواء والتضليل والوساوس وإلقاء النفس في المهالك.

من فوائد الاستعاذة

للاستعاذة فوائد لا حصر لها سوف نتبينها من خلال فصول البحث، ولكن أرغب هنا في الإشارة إلى نموذجين من الفوائد التي أشارت إلهيا بعض الروايات بصورة مباشرة، وهما:

الفائدة الأولى - السيطرة على الغضب: عن سليمان بن صرد رضي الله تعالى عنه قال: استبّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، فأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمرّ وجهه، فقال النبي ﷺ: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول رسول الله ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون!![1]

مقال قصير حول الغضب

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم»[2].

والغضب من المهلكات العظيمة ومفتاح كل شر، فحين يغلب الغضب على الإنسان يخرج عن سياسة العقل والدين وطاعة الله الواحد الماجد؛ حيث يضعف فكره واختياره، وتعمى بصيرته، وتصم أذنُه عن سماع كل موعظة، وقد تزيده الموعظة عنفاً، فقد انطفأ نور العقل وأصبح الإنسان تحت تأثير الغضب أداة في يد الشيطان، وقد يصل الغضب بالإنسان إلى حد الارتداد عن الدين، وقد يقتل النفس المحترمة الزكية، ويضرب ويجرح بغير حساب، وينطلق لسانه بالشتم وإظهار الشماتة وإفشاء الأسرار وقذف المرأة المحصنة والافتراء على

---

١. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٤

٢. الكافي، ج ٢، باب: الغضب، ح ١٢، ص ٣٠٤-٣٠٥

العوائل المحترمة بما يصمها بالعار والذل ويقضي على النظام العائلي، ويشتم الأنبياء ويخرق النواميس المقدسة، ويمتلئ قلبه بالحقد والحسد والعداوة والبغضاء، وغير ذلك من الصفات والموبقات والمعاصي المهلكة التي يستحي منها العقلاء والمؤمنون ويحذرونها لأنها تتنافى مع العقل، وتنسف الإيمان والاستقرار من الأساس، وهذا هو عين الخروج عن ولاية الله وسلطانه، والدخول في ولاية الشيطان وسلطانه، فيحكم الشيطان قبضته على الإنسان في حالة الغضب ليوجهه في طريقه المظلم المهلك، ليلقى نفس مصيره التعيش في الدنيا والآخرة، وهو الطرد من ساحة قدس الله العظيم والعذاب الأليم في الآخرة، ولهذا قال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»[1].

وقد يصوّر الشيطان لأوليائه ويوهمهم بأن شدة الغضب من فرط الرجولة والشجاعة والفتوة، فيتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب، ويقولون ببلاهة شامخين بأنوفهم ممتطين خيل الشيطان: نحن لا نصبر على كذا وكذا، ولا نحتمل من أحد أن يفعل كذا ويقول كذا، مع أن ما يصدر عن الغضبان من الأفعال القبيحة إنما هي أفعال الصبيان والمجانين والحيوانات المفترسة المتوحشة، وليس هي أفعال الآدميين العقلاء الشرفاء أصحاب النبل والشجاعة والإيمان، وكما قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن الرجل ليغضب، فما يرضى أبداً حتى يدخل النار»[2].

وهذا دليل على أن الغضب مرض ونقصان في العقل والدين، ويصدر عن ضعف النفس ونقصانها لا عن شجاعة النفس، فهؤلاء المرضى المساكين يغضبون لأتفه الأمـور، ويغضبون لشدة جهلهم وضعف أنفسهم حتى على الحيوانات والجمادات، ويلعنون الأرض والمطر وسائر الظواهر الطبيعية إذا

١. الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب: الغضب، ح ١، ص ٣٠٢

٢. نفس المصدر

كانت خلاف رغباتهم، أما الشجاع فلا تكون أعماله إلا عن روية وتفكر وطمأنينة، وهو يزن أعماله بميزان العقل والـشرع والعدل والإنصاف، ولا تهزه التوافه ولا تغضبه، ولا يفقده غضبه زمام نفسه، ولا يبادر بالكلام البذيء ولا بالأعمال القبيحة، فعلى الناس أن لا يخلطوا بين الكمالات النفسية التي يتصف بها الأنبياء والأوصياء الصالحون من الناس، وبين النقائص والصفات الشيطانية التي يوسوس بها إبليس في صدور أوليائه من ضعفاء النفوس.

هذا وقد أثبتت التجارب أن أصحاب الأخلاق السيئة والرذائل القبيحة أسرع غضباً من أصحاب الفضائل والنفوس الكبيرة، فالبخيل مثلا: يغضب على أعزة أهله وولده لفقد أشياء تافهة وحقيرة، ويقول الباطل ويفعل الشر بحقهم فضلاً عن غيرهم.

وفي الحقيقة: فإن قمع أصل الغضب غير ممكن وغير مطلوب، لأن الغضب جزء من التجهيزات المهمة في الإنسان التي جهزه الله الخالق المبدع بها لبلوغ كماله وتحقيق غاية وجوده، وهو مطلوب للدفاع عن الدين والمقدسات والحقوق، وصيانة النفس عن الذل والهوان والصغار، وصيانتها عن الضعف وفقدان الحمية والغيرة على الدين والمقدسات والحقوق.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «كان النبي الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله لا يغضب للدنيا، وإذا أغضبه الحق لم يصرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له»[1].

التكليف الشرعي والأخلاقي للإنسان بشأن الغضب

هو السيطرة على الغضب ووضعه تحت سيطرة العقل والدين، فيغضب في محل الغضب، ويحلم في محل الحلم، وليس اقتلاع الغضب من أصله.

قول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

١. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ٣٠٣

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]

انظر قول الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فكظم الغيظ يختلف عن القضاء عليه واقتلاعه من أصله.

وفي الحقيقة أيضاً: إن من لا يغضب من أجل الدين والمقدسات والحقوق، ومن يقبل بالذل والجور من السافلين والظالمين ويداهن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو مخالف لحكم الدين والعقل والفطرة، وهو حمار لا غيرة عنده، ولا حمية، ولا وطنية، ولا شرف، ولا دين، ولا قيم، ولا مبادئ، ولا مقدسات، كما أثر عن الشافعي رضي الله عنه قوله: «من استغضب فلم يغضب فهو حمار»[2]، وإنْ عنْوَن ذلك الحمار سلوكه في مواقفه تلك بعناوين براقة مثل الدبلوماسية والاعتدال والوسطية وغيرها من العناوين، من أجل الخداع والتضليل والتستر على الأسباب الحقيقية لمواقفه الهزيلة البعيدة عن الكرامة الإنسانية والشرف والعقل والدين، وهي ممارسات ومواقف شيطانية غير رحمانية وغير إنسانية، وتدخل الإنسان تحت عباءة الشيطان وساحته، وتخرجه من ساحة الرحمن وحكومته، وتخدم أهداف الشيطان الخبيثة في الحياة، على حساب الحق والعدل والخير والسعادة والكرامة للإنسان في الدنيا والآخرة، وهي خارجة عن حقيقة العناوين المطروحة لها والمعنونة تحتها: من حيث المضمون والغاية والأهداف. والأمر فيها يختلف كلياً عن التوجهات والأطروحات والمواقف لمناضلين ومجاهدين شرفاء: رساليين ووطنيين، يتبعون تكتيكاً مسالماً للعدو في ظروف معينة على أسس موضوعية من أجل تقوية الموقع وتحصين الحالة للتقدم بها على أرض الواقع بصورة أقوى وأضمن لخدمة الأهداف الرسالية والوطنية وتحقيقها على أرض الواقع على المدى القريب أو البعيد، وهي إلى

١. آل عمران: ١٣٣-١٣٤

٢. إحياء العلوم، ج ٣، ص ١٦٠

حين وليست للأبد، وهي لا تعطي الفرصة للانحراف والظلم والفساد بالرسوخ والقوة ولا تسالمه ولا تستسلم له، وإنما تمهله إلى حين تتهيأ الظروف لمواجهته واجتثاثه من فوق الأرض، وهي تقوم على أسس علمية موضوعية روعي فيها خدمة المصالح العامة: الرسالية والوطنية وضمانات تحقيقها، ولا تقوم على أسس ضعيفة، وأمزجة متبلدة، ورغبات حيوانية، ومجاملات رخيصة. ولخدمة المصالح الشخصية والحزبية والفئوية والطائفية، على حساب المصالح الرسالية والوطنية، فالتكتيك: تعبير عن القوة وليس الضعف، وهو من أجل الانطلاقة إلى الأمام لخدمة الأهداف وضمان تحقيقها، ولا يؤدي إلى المراوحة والتراجع إلى الوراء في المسيرة الإسلامية أو الوطنية، أو يؤدي إلى التنازل عن الحقوق والمكتسبات العامة العادلة والمشروعة.

والمطلوب من الإنسان ألاّ يخرجه غضبه عن الاختيار والوقار والحشمة، وذلك ممكن من خلال التربية الإيمانية الروحية العالية، التي تقوم على أساس مخالفة هوى النفس والشيطان، واتباع أحكام العقل والشريعة، واقتلاع أسباب الغضب المهيجة له بأضدادها، حتى تطهر النفس من تلك الرذائل السيئة المهيجة للغضب وتتخلص من الغضب المذموم، وفي مقدمة الأسباب المهيجة للغضب المذموم: التجبر والتكبر، وحب الذات والزهو بالنفس، وحب التسلط والنفوذ والعصبية الجاهلية واحتقار الناس، والحرص على فضول المال والجاه وغيرها من الرذائل، فإذا واجه من استحكمت فيه تلك الرذائل بعض الصعوبات، أو أحس بمن ينافسه على فتات الدنيا وحطامها التافه وزخارفها الفانية، استولى عليه الغضب وملكه الشيطان وتحكم فيه، وانطفأ نور العقل والفطرة والشريعة في وجوده، وحاد عن جادة الطريق والصراط المستقيم والنهج القويم، ولم يراع حرمة ولا ذمة لأحد، وأصبح غنيمة دسمة للشيطان وأوليائه، يخدم أهدافهم، ويحقق ما تشتهي أنفسهم الخبيثة، وما تهوى من الرذائل والمفاسد والخراب.

أما الإنسان المعافى وغير المبتلى بتلك الرذائل القبيحة، فإن نفسه مهما كانت ضعيفة، فإنها تتحمل المنغصات بعض الشيء، ولا تنجر إلى الهاوية والمهلكات التي يجر إليها الغضب المذموم.

أما إذا اقتلع الإنسان جذور حب الدنيا من قلبه اقتلاعاً، وهي حالة الأولياء وعباد الله الصالحين، فإن جميع المفاسد والأخلاق السيئة تهجر قلبه، وتحل محلها الفضائل والأخلاق الرحمانية الرفيعة السامية.

فعلى الإنسان وهو في حالة هدوئه النفسي وتعقله، أن يكون على حذر تام من الغضب المذموم، وأن يفكر بهدوء وروية في المفاسد العملية والأخلاقية والمهلكات التي تتولد عنه، وتفسد الدين والدنيا وتضيعهما على العبد بدون ثمن أو مقابل سعيد، غير الخسران والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، بدلاً من أن ترفعه تلك الغريزة الفطرية التي يفطر الله العدل الحكيم الناس عليها إلى أعلى الدرجات في معارج الكمال والرشد الإنساني ومنازل القرب الربوبي، وتحقق له السعادة والكرامة في الدنيا والآخرة، وذلك في حالة توظيفها التوظيف الصحيح في الدفاع عن النفس والحرمات والمقدسات والحقوق العدالة والمكتسبات المشروعة وغيرها من الوظائف الإنسانية التي وجدت من أجلها في وجود الإنسان وتكوينه.

فعلى الإنسان العاقل الرشيد، والحريص على سعادته وسعادة الآخرين من إخوانه البشر، أن يسعى بكل صدق وجد وإخلاص، لكي يملك زمام نفسه ويحسن قيادتها، ويصونها من الوقوع في الغضب المذموم، ويحفظها من التورط في المهلكات وسوء العاقبة الناتجة عنه في الدنيا والآخرة، وأن يتعود على أن يقدم الفكر والروية على كل قول أو فعل يصدر عنه، ويواظب على ذلك ولو بالتكلف والتظاهر بالحلم والروية، وإن كان في داخله على خلاف ذلك، حتى تتغير نفسه فعلاً، ويحصل بالفعل على ملكة الحلم، وعليه أن لا يسمح لنفسه بأن يصدر عنه شيء من قول أو فعل بغير إرادته، وهذا من العلاج الجذري للغضب والنجاة من شره المستطير في الدنيا والآخرة.

يقول الإمام الخميني ﷺ: «فليفكر في هذه الغريزة التي يهبها الله تعالى إياه لحفظ نظام الظاهر والباطن وعالم الغيب والشهادة، إذا استخدمها لغير تلك الأهداف وبخلاف ما يريد الله سبحانه وضد المقاصد الإلهية، فما مدى خيانته؟ وما هي العقوبات التي يستحقها؟ وكم هو ظلوم جهول؟ لأنه لم يصن أمانة الحق تعالى، بل استعملها في العداوات والمخاصمات. إن امرءًا هذا شأنه لا يمكن أن يأمن الغضب الإلهي»[1].

علاج الغضب

أما إذا وقع الإنسان في الغضب المذموم فعلاً، فعليه أن يبادر سريعاً ويعمل على أن يصرف النفس عنه عند أول ظهوره، ولا يسمح له بالاستفحال والسيطرة الكاملة على النفس، فيخرج عن حدود السيطرة والتحكم، ويصبح الإنسان أسيره ويقوده إلى حيث يريد الشيطان وجنوده وأولياؤه.

يقول الإمام الخميني ﷺ: «أما العلاج العملي فأهمه صرف النفس عن الغضب عند أول ظهوره، وذلك لأن الغضب أشبه بالنار، فهو يزداد شيئاً فشيئاً ويشتد، حتى يتعالى لهيبه، وترتفع حرارته ويفلت العنان من يد الإنسان، ويخمد نور العقل والإيمان، ويطفئ سراج الهداية، فيصبح الإنسان ذليلاً مسكيناً. فعلى الإنسان أن يأخذ حذره قبل أن يزداد اشتعاله ويرتفع سعيره، فيشغل نفسه بأمور أخرى»[2].

ومن علاج الغضب الاستعاذة: وهي تعني في حال القصد والتوجه، سعي الإنسان للخروج من حظيرة الشيطان وسلطته، وعودته إلى حظيرة الرحمن وسلطته، فالغضب المذموم في استحكامه، يدخل الإنسان في حظيرة الشيطان، ويجعل الإنسان الغاضب ملك يمينه، والاستعاذة الجادة في حال الغضب تعني: سعي الإنسان المؤمن الغاضب للخروج من حظيرة الشيطان وولايته التي دخلها بغضبه المذموم، وعودته بالاستعاذة إلى حظيرة الرحمن المقدسة وولايته الطاهرة

١. الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ١٣٥

٢. نفس المصدر، ص ١٣٦

من الظلم والمعاصي، وهذا هو أساس الاهتمام بموضوع الغضب في هذا البحث.

ومن علاجه أيضاً بعد اشتعال ناره: الوضوء أو الغسل بالماء البارد، ليطفئ نار الغضب المشتعلة بماء الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء من خلال التوجه بالوضوء أو الغسل إلى الرب الرحمن الرحيم، وليخفف من نار الغضب وحرقتها ببرودة الماء فتتغير حالة النفس.

ومن العلاج: الصمت أو الكف عن الكلام أثناء الغضب إلا بذكر الله الغفور الودود، والصلاة على محمد وآل محمد وهو من أفضل الذكر.

ومن العلاج: تغيير الوضع الذي يكون عليه الإنسان حال الغضب، كأن يجلس إذا كان قائماً، ويضجع أو يقوم إذا كان جالساً، أو يخرج من المكان الذي هو فيه، ويحاول أن يستحضر ذكر الله والتفكر في قدرته عليه، ويتذكر فضائل كظم الغيظ والحلم والاحتمال، ويتذكر قبح الغضب وسوء عاقبته ومخاطره على الفرد والمجتمع، ويتظاهر بالحلم والهدوء وضبط النفس، وإن كان غاضباً ومضطرباً في داخل نفسه، حتى تتغير نفسه تدريجياً، ويحصل له الهدوء والحلم والاستقرار التام فعلاً، ويحسن التصرف وإدارة الأمر بحكمة وروية.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه، حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة»[1].

ولا يتسع المقام لتوضيح فلسفة تلك الأعمال والممارسات وفوائدها وتأثيرها في معالجة الغضب، لاسيما وأن البحث في الغضب لم يكن من صلب الموضوع وإنما من توابعه.

تجلٍّ وحشي من واقع الحياة

وأنا أتحدث عن الغضب برزت في ذهني صور مروعة لتجليات وحشية من واقع حياة الإنسان، فقد برزت في ذهني صور بعض الوحوش الآدميين وهم

١. بحار الأنوار، ج ٧٠ـ باب الخصال التي توجب التخلص من شدائد القيامة وأهوالها، ح ٦٢، ص ٣٠٢

يتعاملون مع الحيوانات العجماء التي لا تستطيع التعبير عن شعورها وما يجول في نفسها، ولا تستطيع الدفاع عنها، فيؤلمونها بغير حدود، ويحمّلونها ما لا طاقة لها به، ويضعونها في أوضاع وحشية وظروف قاسية غير ملائمة، يفعلون ذلك لأن الحيوانات العجماء لا تستطيع الدفاع عن نفسها، ولأن الوحوش البشرية لا يملكون شعوراً ولا عواطف إنسانية نبيلة ورقيقة، وأنهم لا يبصرون ولا يشعرون بما هو خارج الحدود المباشرة لحواسهم المغلقة قصيرة المدى، ولا يتعاملون بتعقل وبصيرة وروية مع الأشياء، ولا يقفون عند حد من الحدود إلا ما يجبرون عليه، فقد أطلقوا لأنفسهم العنان بغير حدود لضعف عقولهم ونفوسهم المريضة.

ثم برزت في ذهني صور أكثر مأساوية لهذه الوحوش الآدمية في تعاملهم مع الآدميين المستضعفين الذين يقعون تحت أيديهم ولا حول لهم ولا قوة، وقد ملأت هذه الصور قلبي بالألم والحزن، كما تفعل بقلب كل آدمي يشعر بآدميته، فقد تصورت التعامل المروع لهذه لهؤلاء الوحوش مع العبيد من بني البشر الذين يملكونهم، والخدم الذين يعملون عندهم وما يفعلونه بهم؛ حيث يتغافلون عن إنسانية أولئك المملوكين أو الخدم، ويتعاملون معهم كتعاملهم مع الحيوان الأعجم!!

وتصورت تعامل السجانين والمعذِّبين مع الضحايا في السجون، والمدى المروع الذي يذهبون إليه في التعامل الوحشي معهم بصنوف التعذيب وسوء المعاملة.

وتصورت التعامل الوحشي للحكام المستبدين مع الشعوب المستضعفة، وما يخلقونه لهم من أوضاع مأساوية وظروف قاسية في المعيشة والحياة تتنافى مع كرامة الإنسان وحقوقه في الحياة، حتى يخيل إلى المراقب بأنهم لو كانوا يسوسون قطعاناً من الأبقار أو الحمير لما كانت سياستهم أسوأ من سياستهم لبني البشر؛ بل سياستهم لبني البشر الأسوأ بسبب ما يعانيه بعض أولئك الحكام المستبدين من الشعور بعُقد الحقارة والنقص والدناءة، فيوغلون في سوء المعاملة مع بني البشر لاسيما مع المتفوقين والمبدعين، تعويضاً عن شعورهم

بالنقص والحقارة والدناءة، وحقداً عليهم لما يملكونه من ملكات وقدرات، ولو كانوا يسوسون قطعاناً من الأبقار والحمير لما كانت لهم نفس الدرجة من الشعور بالدناءة والحقارة والنقص، ولهذا قد تكون معاملتهم مع قطعان الأبقار والحمير والكلاب - كما كشفته التجارب - أفضل وأرحم من معاملتهم مع بني البشر وإن كان هناك منهم ومن غيرهم من يحاول أن يفرغ عقده النفسية حتى مع الحيوانات العجماء، وذلك بسبب عمق الشعور بالنقص والحقارة والدناءة.

وتصورت التعامل الوحشي لأرباب العمل الذين تتضخم ثرواتهم على حساب العاملين عندهم، ويضعون العاملين عندهم في أوضاع وحشية وظروف قاسية لا تتناسب مع إنسانية الإنسان، ولكنهم لا يملكون شعوراً إنسانياً ولا إحساساً بشرياً؛ حيث يستغلون ضعف العاملين وحاجتهم إلى العمل من أجل الإنفاق على أنفسهم ومن يعولون، وبسبب غياب الحماية القانونية لهم يستغلون ذلك، لسلب حقوق العاملين عندهم وعدم إنصافهم بإعطائهم ما يستحقون من الأجر العادل، ويفرضون عليهم العمل في أوضاع مأساوية والعيش في ظروف قاسية، وكل ما يفعلونه مخالف للشرائع السماوية والبروتوكولات الدولية، فالأجر العادل والظروف المناسبة في العمل حق كفلته الشرائع السماوية والمواثيق الدولية، وظاهرة إنسانية حضارية، يجب أن نلتزم بها ونبرزها في مجتمعاتنا من منطلق الشعور بإنسانيتنا، وبكرامة الإنسان وحقه في الحياة حتى لو لم يطلب منا ذلك في القوانين الوضعية، ولم يوجد من يحاسبنا عليه، فشعور المرء بإنسانيته، والشعور بالمسؤولية أمام الله تبارك وتعالى، فوق كل رغبة في الربح، وفوق كل محاسبة في الدنيا أمام القانون الوضعي وأمام الناس والتاريخ.

أيها الأحبة الأعزاء: إن الصور المروعة التي ذكرت وغيرها من تعامل تلك الوحوش الآدمية من الحكام المستبدين والجلادين والمفسدين وإخوان قارون مع البشر، هي بالطبع في غاية السوء والقبح، ولا يمكن أن تقاس بالتعامل الوحشي مع البهائم العجماء، فهي مع دلالتها على فقدان المشاعر والعواطف

الإنسانية لدى تلك الوحوش البشرية في الحالتين، فإنها تدل في التعامل الوحشي مع الآدميين على التنكر لكرامة الإنسان وإلغائها عملياً من قاموس التعامل، والمساواة قسرا بين بني آدم وبين البهائم العجماء!! فأي جريمة أشنع من هذه الجريمة في حياة البشر؟! والله تعالى يقول في محكم كتابه المجيد وقوله السديد: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[1]، فعلى هؤلاء المجرمين أن يتذكروا قدرة الله جبار السماوات والأرض عليهم، وأن يتذكروا مصير فرعون وهامان وقارون ونمرود وشاه إيران وصدام وغيرهم، ممن سودوا صفحات وجه التاريخ وسود التاريخ وجوههم، وأن يتذكروا عذاب الآخرة المقيم الذي لا يزول ولا يحول.

سؤال مهم جداً

والسؤال الذي يفرض نفسه في البين: من هو المسؤول عن ترسيخ تلك الأوضاع الظالمة واستمرارها؟

الجواب: الشعوب أنفسهم هم المسؤولون عن ذلك، ولا سيما تلك القيادات الشعبية ورموز المعارضة الذين يبررون الواقع المنحرف الظالم، ويعملون على ترويض الشعوب على القبول به، والإذعان للجلادين والمستكبرين وسارقي ثروات الشعوب وخيراتهم، وتوظيفها في إشباع مجونهم وشهواتهم وأغراضهم الخاصة ومصالحهم الشهوانية المريضة؛ بدلاً من أن تتوجه تلك القيادات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمطالبة الجدية القوية الفاعلة وليس بالوهم والكلام الفارغ، لتصحيح الأوضاع وتطويرها بما يخدم مصالح الشعوب ويصون مكتسباتهم المشروعة التي ضحوا من أجلها بالنفس والنفيس، وتتوجه لنشر لواء الحق والعدل في البلاد، والقضاء على الانحراف والفساد فيها واجتثاثه منها.

---

١. المائدة: ٣٢

وبالتالي: فإن القيادات التي تقوم بهذا الدور، هم شركاء بصمتهم ومهادنتهم وتثبيطهم للشعوب عن الرفض والمقاومة المشروعة، هم شركاء للمفسدين في الأرض المنغمسين في شهواتهم وملذاتهم الحيوانية المحرمة، وهم شركاء للوحوش البشرية من الحكام المستبدين ومن الجلادين والمعذبين الذين يأكلون من لحوم البشر، وهم شركاء لإخوان قارون أصحاب الأموال الضخمة التي يجمعونها من تحت أقدام الشعوب ومن فوق جماجمهم، وهم شركاء بصمتهم ومهادنتهم وتثبيطهم في كل انتهاك لكرامة الإنسان، وسلب لحقوقه العادلة ومكتسباته المشروعة، وهم شركاء في فرض الأوضاع المأساوية في المجتمعات الإنسانية والشعوب المستضعفة، هم شركاء في جميع ذلك وإن لم يفعلوا شيئاً منها، لأنهم رضوا بها ولم يقاوموها، وذلك خلاف الفطرة والعقل والدين.

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[1]

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شركاء ثلاثة»[2].

وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «من أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنة مصاحباً»[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلا كان أفضل من صيام شهر واعتكاف في المسجد الحرام، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلا نصره الله في الدنيا والآخرة، وما مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على

---

١. هود: ١١٣

٢. بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٥٥

٣. نفس المصدر، ج ٧٥، باب: أحوال الملوك والأمراء، ح ٧٤، ص ٣٥٩

نصرته إلا خذله في الدنيا والآخرة»[1].

الفائدة الثانية - معالجة السهو في الصلاة: عن الإمام الصادق قال: «من كثر عليه السهو في الصلاة، فليقل إذا دخل الخلاء: بسم الله وبالله، أعوذ بالله من الرجس النجس الخبث المخبث الشيطان الرجيم»، وقد وردت قبل قليل أحاديث عن الرسول العظم الأكرم صلى الله عليه وآله، وعن أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام تثبت هذا الموضوع، ونستغني بذكرها هناك عن تكرار ذكرها هنا، وسوف يأتي البحث في الصلاة بالتفصيل المناسب في تفكيك الاستعاذة وتحليلها إن شاء الله تعالى.

١. نفس المصدر، ج ٧٥، باب: نصرة الضعفاء والمظلومين وإغاثتهم، ح ١٧، ص ٢٠

بحث حول الشيطان

نتناول في هذا البحث أهم المسائل التي تساعدنا في فهم أفضل لموضوع البحث في الاستعاذة، وهي كالتالي:

المسألة الأولى - التعريف بالشيطان

الشيطان في اللغة هو الروح الشرير البعيد عن الحق والخير والمعادي لهما، والذي لا همّ له إلا الشر وبث الفرقة والاختلاف والفساد في الأرض، والآخذ بالباطل وتصويره في صورة الحق، ليضل به عن سبيل الله العزيز الحميد، فكل متمرد منحرف مؤذٍ خبيث يزين فعل الغواية ويغري بالفساد والضلال فهو شيطان، ويطلق اللفظ في القرآن الكريم على كل شرير من الجن والإنس.

قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ﴾[1]

والشيطان بحسب طبعه بعيد كل البعد عن فعل الخير وإن أخفى نفسه في أثواب الصالحين والعلماء والقديسين، وإن قام بفعل الخير حسب الظاهر، فلأغراض شيطانية خبيثة خفية، كما تتظاهر أمريكا في الوقت الحاضر بالدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان من اجل السيطرة على الشعوب واستعمارها

---

١. الأنعام: ١١٢

ونهب ثرواتها وحماية الكيان الصهيوني. وقد غلب استعمال لفظ الشيطان في إبليس الذي هو رأس الشياطين، وهو الذي أغوى أبانا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، ومازال يتربص بأبنائهما الدوائر.

قول الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[1]

ولم يخلق إبليس في الأصل شيطاناً، وإنما خلق على الفطرة السليمة الطاهرة الداعية الى التوحيد وطاعة الله الواحد الأحد الصمد، وقد أقام ردحاً من الدهر مع الملائكة يعبد الله تبارك وتعالى، ولكنه تكبر وأساء التصرف حين رفض السجود لآدم عليه السلام بأمر الله تبارك وتعالى، وعزم على الطغيان والتمرد، وسلك طريق الانحراف مختاراً.

قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[2]

وإبليس من الجن وليس من الملائكة، قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ

١. طه: ١٢٠-١٢١

٢. الحجر: ٢٩-٤٤

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[1]

والجن: نوع من الموجودات العاقلة ذوات الشعور والإرادة، وهي مستورة عن حواس الإنسان بحسب طبعها وهم غير الملائكة.

ولكلمة الشيطان مصاديق أخرى في أحاديث الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، منها الدواب والجراثيم المضرة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تشربوا الماء من ثلمة الإناء ولا من عروته، فإن الشيطان يقعد على العروة والثلمة»[2].

المسألة الثانية - الفرق بين إبليس وأعوانه من الجن والأنس

إبليس هو الشيطان الذي ينتهي إليه أمر كل غواية وإضلال في بني آدم، أما أعوانه من الجن والإنس، فولاية الواحد منهم: إما لبعض الناس دون بعض، وإما في بعض الأعمال دون بعض، وإما على نحو العونية، وأولياء الشيطان أصناف: فمنهم من يغريه بالظلم وإراقة الدماء وهتك الحرمات وسلب الحقوق واضطهاد الشعوب والأمم مثل الفراعنة والحكام المستبدين، ومنهم من يغريه بالفسق والفجور والخيانة مثل القوادين، ومنهم من يغويه بالمساعدة على الظلم والفساد في الأرض مثل الجلادين والمعذبين والسجانين، ومنهم من يغريه بارتداء أثواب الصالحين والزاهدين والقديسين ليضل بهم عن العدل والمطالبة بالحقوق العادلة والمكتسبات المشروعة مثل علماء السوء والبلاط، ومنهم من يغويه بالإمامة والدين والمذاهب والفلسفات ليضل عن سبيل الله المستقيم ونهجه القويم ويزين للناس الانحراف مثل الطواغيت.

والخلاصة: إن لكل ولي من أولياء الشيطان وجنوده وأعوانه من الجن والأنس وسيلته التي تناسبه وطريقته في الإضلال وتزيين الانحراف والدعوة إلى

---

١. الكهف: ٥٠

٢. الكافي، ج ٦، كتاب الأشربة، باب: الأواني، ح ٥، ص ٣٨٥

الشيطان الأعظم (إبليس) وطريقه ومنهجه في الحياة. فشياطين الجن توحي بالوسوسة على شياطين الإنس، وشياطين الأنس يوحي بعضهم إلى بعض بأسرار وأساليب المكر والخديعة والإضلال والإفساد وزخرف القول (وهي الأقوال المنمقة التي تشبه الحق وليس من الحق) غروراً، ويبقى إبليس هو سيدهم ورأس الشياطين جميعاً، والأصل في كل غواية وإضلال لبني آدم عليه السلام.

قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[1]

المسألة الثالثة - سلطة إبليس على الإنسان

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما من قلب إلا وله أذنان، على أحدهما ملك مرشد وعلى الآخر شيطان مفتن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها»[2].

من هذا الحديث الشريف نفهم أن الملائكة والشياطين يكلمون الإنسان بإلقاء المعاني في قلبه.

ولنبدأ أولاً بذكر الآيات التي تشير صراحة إلى تكليم الشيطان للإنسان، منها الآيات التالية:

قول الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾[3]

وقول الله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾[4] بتك: شق.

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ

---

١. الأنعام: ١١٢

٢. الكافي، ج ٢، باب: إن للقلب أذنين ينفث فيهما الملك والشيطان، ح ١، ص ٢٦٦

٣. البقرة: ٢٦٩

٤. النساء: ١١٩

وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾[١]

وقول الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾[٢]

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[٣]

أما الآيات الكريمة التي تشير إلى اتصال الملائكة بالإنسان فهي كثيرة منها الآيات التالية:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[٤]

وقول الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[٥]

وقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٦]

ويسمي القرآن الكريم الكلام الملكي حكمة، ويسمي الكلام الشيطاني رجساً.

قول الله تعالى:﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦٨ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

---

١. إبراهيم: ٢٢

٢. الحشر: ١٦

٣. الناس: ٥-٦

٤. فصلت: ٣٠-٣٢

٥. الأنفال: ١٢

٦. الفتح: ٤

كَثِيرًا ۚ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1]

وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]

سؤال: كيف يميز الإنسان الكلام الملكي من الكلام الشيطاني؟

يميز الإنسان الكلام الملكي من الكلام الشيطاني من خلال ملاحظة النقاط التالية، وهي:

النقطة الأولى: الكلام الملكي يصاحبه انشراح الصدر، والكلام الشيطاني يلازم ضيق الصدر.

قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3]

النقطة الثانية: الكلام الملكي يدعو إلى المغفرة والفضل، والكلام الشيطاني يدعو إلى اتباع الهوى ويأمر بالفحشاء ويخوف بالفقر والمذلة وملامة الناس.

قول الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4]

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا

---

١. البقرة: ٢٦٨-٢٦٩

٢. الأنعام: ١٢٥

٣. نفس المصدر

٤. البقرة: ٢٦٩

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾[1]

النقطة الثالثة: الكلام الملكي يطابق الدين المبين في الكتاب والسنة، وينسجم مع الفطرة، ويدل على انشراح الصدر، والكلام الشيطاني يخالف الدين المبين في الكتاب والسنة، ولا ينسجم مع الفطرة، ويدل على ضيق الصدر.

ومن المؤكد والواضح، بأنه ليس لإبليس ولا لأوليائه وجنوده سلطة على الإنسان تلغي إرادته وحريته في الاختيار، فليس لهم القدرة على إجبار إنسان واحد على السير في طريق الضلال والانحراف، وكذلك ليس للملائكة مثل تلك السلطة في إجبار الإنسان على السير في طريق الهداية والفلاح، وكل ما يملكه إبليس وأولياؤه عليهم اللعنة، هو الوسوسة في نفس الإنسان وتزيين العمل السيئ له كلٌّ بما يناسبه حسب خلفيته الفكرية والروحية والأخلاقية والنفسية المنحرفة عن الفطرة والعقل والدين، فهناك من يغويه بالمال والجاه والمنصب، وهناك من يغويه بالجمال والحب والشهوة، وهناك من يغويه بالعصبية الجاهلية والأنانية وحب الذات والسلطة، وهناك من يلعب في الأوهام والأباطيل تحت عنوان الثقافة والتحرر والاستقلال، وفي النهاية يكون انقياد الإنسان إلى هذه الوساوس الباطلة ولهذا الغرور الفج بإرادته واختياره وحده وليس بإجبار أو قهر من أحد، فالإنسان هو الذي يلبي دعوة الشيطان وأوليائه، ويفتح لهم أبواب قلبه ليدخلوه بإذنه ورضاه، فالذين يتبعون الشيطان هم المنحرفون أصلاً عن الفطرة والعقل والصراط المستقيم، والمستجيبون لرغباتهم وميولهم ونزعاتهم النفسية بغير تهذيب ولا رقابة، ويفتحون بذلك الأبواب للشيطان للدخول إلى قلوبهم وعقولهم بمحض إرادتهم واختيارهم.

والخلاصة في ذلك: إن الوساوس الشيطانية وإن كانت لا تخلو من أثر في تضليل الإنسان وانحرافه؛ إلا أن القرار الفعلي لانصياع الإنسان للوساوس الشيطانية أو رفضها يرجع بالكامل إلى الإنسان نفسه، ولا يستطيع الشيطان

١. النساء: ٣٧-٣٨

وأولياؤه وجنوده مهما بلغوا من قوة الوساوس وسلطتها أن يدخلوا إلى قلب الإنسان بدون إذنه ورضاه، وبالتالي فإن سلطة الشيطان على أتباعه لا تعود إلى ما يملكه من قوة بحيث لا يملكون الفكاك والخلاص منها، وإنما لانسحاقهم وتنازلهم عن قوتهم في الفكر والإرادة التي منحهم الله المبدع المعيد إياها وفطرهم عليها لإعلاء إنسانيتهم، وللحصول على سعادتهم في الدنيا والآخرة، وتسليمهم الأمر إلى الشيطان ليستولي ويحكم سيطرته عليهم بالكامل، كما يستولي العدو على أية قلعة غير محصنة من أول هجوم له عليها، ثم يوظفها لخدمة أهدافه، ويوجههم الوجهة الشيطانية التي يريد، فليس للشيطان سلطة إجبارية على الإنسان، وإن الشيطان لا يمكن أن يتمكن من السيطرة على الإنسان والتحكم فيه؛ إلا إذا مهد الإنسان بنفسه الطريق إلى الشيطان وأعطاه إجازة المرور إلى قلبه الذي هو عرش الرحمن في الأصل.

قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

وهذا تسليط من الإنسان لإبليس وأوليائه على نفسه، وليس تسلطا من إبليس وأوليائه على الإنسان بحيث يسلب الإنسان الإرادة والاختيار، ولهذا يتبرأ إبليس وأولياؤه من أتباعهم يوم القيامة.

قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[2]

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا

١. الأنفال: ٤٨

٢. البقرة: ١٦٦

أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]

والسلطان: هو التمكن من القهر، وتسمي الحجة سلطاناً لما فيها من قهر العقل على مالها من النتائج.

ونفي الشيطان الرجيم تسلطه على الإنسان، يعني أمرين:

الأمر الأول: ليس له التسلط على أشخاصهم بحيث يسلب إرادتهم واختيارهم ويفرض إرادته عليهم ويجبرهم على معصية الله تعالى وعمل الإثم وأتباع الهوى، وإنما أغراهم فانقادوا إليه، وبالتالي هم الذين سلّطوه على أنفسهم الضعيفة الآثمة.

الأمر الثاني: ليس له السلطة على عقولهم فيقيم لهم الحجة والبرهان التي تجبر عقولهم على القبول بالشرك والتصديق به عن حق وحقيقة، ولكنه زينه لهم فصدقوه ولم يتبينوا ولم يثبتوا.

قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[2]

فقد وعد الله أهل الإيمان حياة طيبة وعيشة هنيئة سعيدة، ووعد أهل الشرك والمعرضين عن ذكر الله العذاب الأليم والمعيشة الضنك وضيق الصدر، ووعد الجميع بعثاً وحساباً وجنة وناراً في الآخرة. أما الشيطان فقد دعا أولياءه عن طريق التزيين وإظهار الباطل والخطأ والانحراف في صورة الحق والصواب والاستقامة، ودعاهم إلى الأوهام الباطلة التي لا ينتج عنها إلا التخلف والفساد والجريمة، ووعدهم بالمواعيد الكاذبة وأحلام المستقبل الذهبية، التي تقوم على أساس المعصية والانحراف عن الصراط المستقيم وعن النهج الإلهي القويم، وتؤدي بهم إلى الاستسلام للأهواء اللذيذة والآمال العريضة الطويلة الباطلة، التي لا حقيقة

---

١. إبراهيم: ٢٢

٢. نفس المصدر

لها في الفكر ولا في الواقع؛ بل هي مجرد صور براقة في الوهم والخيال، وزين لهم ما بين أيديهم من الأسباب كالقوة والمال والجاه، وأغراهم بالاعتماد على أنفسهم، وأغفلهم عن ذكر الله رب العالمين، وخوفّهم الفقر والذل المادي وملامة الناس وعتابهم، وصرف أذهانهم عن الموت والبعث والحساب، فلا غاية لهم في الحياة إلا الأكل والشرب والتمتع بملذات الحياة المادية والتلهي بالآمال الطويلة العريضة والأماني المريضة، ولا منطق لهم في الحياة إلا منطق الأنعام والمادة، وقد صور لنا القرآن الكريم في الآيات السابقة ظهور كذب الشيطان وصدق وعد الله في يوم القيامة، واعتراف الشيطان بذلك وتنصله من المسؤولية، وإرجاع اللوم على الأتباع، ويعلل ذلك بأنه ليس له سلطان على الأتباع يلغي إرادتهم واختيارهم، وأنهم هم الذين استجابوا له بمحض إرادتهم ومكنوه من أنفسهم، فهم الذين لهم السلطان على أنفسهم وأعمالهم، وعليهم يقع اللوم لا عليه.

وهذا يدل على ضعف حجج الشيطان، وضعف نفوس أولياء الشيطان وعقولهم.

والخلاصة: إن للإنسان سلطانا على نفسه وعمله يوجب ارتباط المسؤولية والجزاء به ويسلبه عن غيره، وأما الرابطة بينه وبين الشيطان، أو بين التابع والمتبوع، فهي رابطة لا تسلب الإنسان أو التابع حرية الإرادة والاختيار، ولا تلغي عنه مسؤولية عمله وتحميلها غيره.

واستنادا إلى ذلك نخلص إلى النتائج المهمة التالية، وهي:

النتيجة الأولى: إن الشيطان لا سبل له ولا سلطة على الإنسان إلا فيما يوسوس له من أفكار ضالة ومناهج منحرفة، ومشاعر سوداء مظلمة حاقدة، وقيم زائفة، وأخلاق ذميمة سيئة، وأهداف ضيقة محدودة، وتحريك الأهواء والشهوات والرذائل وابتكار وسائل الإغواء والإغراء والطيش واتباع الهوى وفعل الحرام والمعصية، وتزيين الأعمال الشريرة والأوضاع المنحرفة الشاذة لتبدو مستقيمة معقولة لديه، وقلب الحقائق وتغيير الصور الحقيقية للأشياء، فيصور الحق باطلاً في نظر الإنسان، والخير شراً، والحسن قبيحاً، ليصرف الإنسان عن

الصراط المستقيم وعن النهج القويم، وينظر الإنسان إلى عمله القبيح بانبهار تام، ويعده عملاً عقلانياً ومنطقياً ونُبلاً من جميع الجهات، كذباً وغروراً بدون تدقيق ولا تمحيص، تحت عناوين وهمية خادعة كالشجاعة والتقدمية وغيرها، ولا يستجيب للشيطان إلا أولياؤه ضعاف النفوس والعقول والإرادة، الذين يخضعون له ويستسلمون لحبائله وخدعه، ويفتحون قلوبهم له، ويحركون عقولهم معه، لأنهم ينسون ذكر الله عز وجل، ويهربون من حقيقة الإيمان، ولا يتحركون في الحياة من موقع المسؤولية في الفكر والعمل، ولا يعيشون في الآفاق الروحية والقيم الإنسانية والمعنوية الرفيعة؛ بل يمارسون الحياة ويتصرفون فيها بدون مبالاة، ويستسلمون للشبهات المضلة، كاستسلامهم للشهوات المحرمة، وزخارف الحياة الفانية، ولسَورة الغضب، ويستسيغون ذلك كله، ويعبدون الدينار والدرهم والدولار، ويبيعون الدين والبلاد والعباد لمن يدفع الثمن البخس من الفراعنة والمستعمرين والمستكبرين، ويجمعون الغنائم والثروة وهم راضون بذلك ومقتنعون به كهدف أسمى، وكأن الحياة ساحة للعبث واللهو بعيداً عن الفكر والمسؤولية والحساب، وبهذا تكون حياتهم ساحة للشيطان، يصول ويجول فيها، وعلاقتهم به مستمرة ودائمة، لأنهم اختاروا الشيطان قريناً ورفيقاً لأنفسهم، واختاروا طريقه منهجاً لهم في الحياة، ولن يكف ولن يألوا جهداً في إضلالهم وإغوائهم، لكي لا يكون مصيرهم في الدنيا والآخرة أفضل من مصيره، ولن يكون لأن منطقهم نفس منطقه، وأهدافهم نفس أهدافه، وسلوكهم ومواقفهم نفس سلوكه ومواقفه سواء بسواء، فالشيطان يعتبر نموذجاً للاستكبار والكفر والعصيان، وقد انتهى أمره إلى الطرد من ساحة الطهارة والقدس، وكل من يتبعه سينتهي إلى نفس المصير والعاقبة.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1]

١. الحجر: ٤٢

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾[2]

وقول الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[3]

الدروس المستفادة من البحث

الدرس الأول: ينبغي أن ندرك فيما ندرك في هذا البحث، مدى ما للقرين السيئ من الأثر في مصير الإنسان، ذلك الأثر الذي ربما يبلغ في آخر المطاف إلى السقوط الكامل، مما يعني وجوب التدقيق في اختيار الأصدقاء.

قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾[4]

الدرس الثاني: ينبغي أن ندرك خطورة التقليد الأعمى، فالذين يضعون زمام أمورهم بدون وعي ولا تمحيص ولا تجربة في يد الآخرين، هم ضعفاء غاوون يتصرفون خلاف المنطق والفطرة والدين، وإن قادتهم وزعماءهم الانتهازيين، يتخلون عنهم في الظروف الحالكة، ولا ينفعونهم بشيء في الدنيا والآخرة، وإن هذا النمط من السلوك يؤدي إلى التخلف والفساد في الأرض، سواء قام على أساس ديني أم علماني، وقد كشف لنا القرآن الكريم عن الطريقة الشيطانية التي يتبعها كل الفراعنة والطواغيت والمفسدين في الأرض، بأنهم يأخذون بأيدي أتباعهم أو ضحاياهم ويذهبون بهم إلى أعماق العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة، وحينما تحين لحظة المواجهة، يتخلون عنهم ويتركونهم يواجهون مصيرهم بأنفسهم، ويلومونهم لأنهم اتبعوهم بمحض إرادتهم واختيارهم

---

١. النحل: ١٠٠

٢. الأنعام: ١١٣

٣. الشعراء: ٢٢١-٢٢٢

٤. النساء: ٣٨

ولم يجبروهم على شيء، وهذا نوع من العقاب النفسي لأتباع الشيطان وأتباع إخوانه من الفراعنة والطواغيت، وتحذير لهم من المصير الأسود المشؤوم الذي ينتظرهم في الدنيا والآخرة.

قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[2]

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾[3]

النتيجة الثانية: إن سلطة الشيطان على الفاسقين بإرادتهم وبسبب المعاصي والأعمال السيئة التي تترك آثارها السلبية العميقة في داخل الإنسان،

---

١. الأنفال: ٤٨

٢. الحشر: ١١-١٦

٣. إبراهيم: ٢٢

وتحرك عناصر الضعف الإنساني فيها، مما يجعل الذنوب تتابع ويجر بعضها إلى بعض على أساس القاعدة الفكرية والروحية والأخلاقية والنفسية في داخل الذات المنحرفة التي مكنّت الشيطان من إغوائها وإضلالها، كما تتابع الطاعة ويجر بعضها إلى بعض على أساس القاعدة الفكرية والروحية والأخلاقية والنفسية في داخل الذات المستقيمة كما سيوضح بعد قليل.

فالحقائق المهمة التي يهدي إليها القرآن الكريم في هذه النتيجة، هي كالتالي:

الحقيقة الأولى: أن وسوسة الشيطان الرجيم هي نتيجة لخلفية فكرية وروحية ونفسية وأخلاقية كوّنتها ذنوب سابقة.

قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]

الحقيقة الثانية: أنّ الذنوب والانحرافات التي تصدر عن الإنسان بسبب من وساوس الشيطان تمهد بدورها إلى ذنوب وانحرافات أخرى مماثلة، فالذنوب يجر بعضها إلى بعض، وإنّه لا خلاص للإنسان من هذه الدائرة المهلكة إلا بتطهير النفس من الذنوب، والعودة إلى الله وطاعته والاستعاذة به من الشيطان الرجيم.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾[2]

وقول الله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾[3]

---

١. المطففين: ١١-١٤

٢. آل عمران: ١٥٥

٣. الأعراف: ٢٠٢

الدرس المستفاد من البحث: علينا إذا أردنا أن نصلح أنفسنا أن نتحلى بالشجاعة الأدبية، وأن نواجه أنفسنا بالحقيقة التي لا لبس فيها لمن أراد الحقيقة، وأخلص إليها، وحرص على إنقاذ نفسه من الشقاء والعذاب الأخروي العظيم، فليس هناك سلطة للشيطان في الإضلال، وكل دوره ينحصر في الوسوسة وإثارة الشهوة والغضب، ودعوة الإنسان للاستجابة، ويبقى للإنسان دوره في التفكير والمقارنة والاختيار، علما بأن الاستجابة للشيطان والوقوع في حبائله وخدعه تنطلق من حالات فكرية وروحية وأخلاقية ونفسية وتطلعات في الحياة منحرفة عن الدين والعقل والفطرة، وبدون هذه الأفكار والمفاهيم والتطلعات لا يقوى الشيطان على الإنسان، فعلينا إذا أردنا أن ننقذ أنفسنا من الشقاء والمصير الأسود أن ننفذ إلى داخل أعماق أنفسنا، وندرس طبيعة الأفكار والمفاهيم والتطلعات التي تحرك سلوكنا في الحياة ونكتشف حقيقتها، ونصلحها وفق المنهج الإلهي القويم ومنطق العقل والوجدان الأخلاقي السليم، وأن نقتلع تلك الأفكار والمفاهيم والتطلعات المنحرفة عن الدين والعقل والفطرة، وأن نضاعف الجهد في تربية أنفسنا والعودة إلى الله رب العباد، وتطهير قلوبنا من الذنوب وآثارها بترك الذنوب والتوبة النصوح منها، لننتصر على أنفسنا الأمارة بالسوء، ونواجه المسؤولية تجاه أنفسنا ومصيرنا من موقع حرية الإرادة والاختيار بالانتصار على أنفسنا أولاً، ثم لنواجه الشيطان وأولياءه من الفراعنة المستبدين والطواغيت أئمة الضلال والانحراف ثانياً، وإلا سوف نبقى أسرى بأيدي الشيطان وأوليائه وجنوده، ونلاقي نفس المصير من الطرد والشقاء والعذاب الأليم.

أيها الأحبة الأعزاء: إن نقطة البداية التي ينبغي أن ننطلق منها في إصلاح أنفسنا، والتي ينبغي أن ينطلق منها المربون في إصلاح الأجيال كلها، والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، هي النفاذ إلى عمق الأفكار والمفاهيم والتطلعات التي توجه السلوك، وإصلاحها وفق المنهج الإلهي القويم، ومنطق العقل السليم، والوجدان الأخلاقي النقي الطاهر، بدلا من الاهتمام بالقضايا

والمسائل الخارجية المتنافرة التي لا بداية لها ولا نهاية، وبدلاً من الاكتفاء بإلقاء الأحكام والمواعظ وسرد القوانين، فهذه لا تصيب الانحراف بمقتل، وقد جربت استئصال الانحرافات من جذورها الداخلية ونجحت.

النتيجة الثالثة: إنه لا سلطة للشيطان الغوي الرجيم على المؤمنين الطيبين، لأنهم يملكون حياتهم ومواقفهم، ويسيطرون على شهواتهم وميولهم وغضبهم من حيث يملكون إيمانهم ويسيطرون على عقولهم وقلوبهم، وكل من يملك نفسه، ويسيطر على شهواته وغضبه ونوازعه وميوله، فلا سلطة للشيطان ولا لفرعون ولا لطاغوت عليه؛ بل لا يقوون على الدنو منه، لأن الشياطين والفراعنة والطواغيت إنما ينفذون إلى الإنسان ويسيطرون عليه من خلال نقاط الضعف التي توجدها وتنميها الشهوات والغضب والميول النفسية والتطلعات المنحرفة، وكل من يملكها ويسيطر عليها لا يقوى عليه شيطان ولا فرعون ولا طاغوت.

أيها الأحبة الأعزاء: لقد أدرك المؤمنون الطيبون الحقيقة الإيمانية في عمق المعرفة بالكون والإنسان والحياة، فأخلصوا لله رب العالمين في صدق العبودية له وطاعته وحده لا شريك له، والاتصال به والانفتاح عليه وعلى منهجه القويم، وإخلاص النية له في عمق الذات وصلابة الموقف، والثقة به والتوكل عليه بما يمثله التوكل من أمل كبير في المستقبل، وحركة إرادية واقعية في الحياة على كل الأصعدة، وراقَبوه في السر والعلانية، وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون، ولم يروا لأنفسهم سعادة إلا بالدين وأحكامه وإن كانوا معلقين على أعواد المشانق، أو مضيقاً عليهم في أقبية السجون، أو مشردين خائفين في الأماكن البعيدة وبلاد الغربة، فهم يتحركون بسلطان الله تبارك وتعالى في الحياة وعلى منهجه القويم، ويستنفرون طاقاتهم الفكرية والروحية والنفسية والأخلاقية، ويعملون على تقوية إرادتهم على السير في طريق الرب الرحمن الرحيم ونهجه القويم وصراطه المستقيم، ومواجهة الشيطان وأساليبه الخبيثة

الماكرة، فبدينهم الذي تنورت به قلوبهم ومنهجه القويم يتغلبون على شهواتهم ورغباتهم وميولهم النفسية، وعلى عداواتهم وخصوماتهم وتطلعاتهم في الحياة، فإبليس اللعين الرجيم لا يقوى على إغوائهم وإضلالهم، وهو أذل وأحقر من أن يتسلط عليهم، أو يتمكن من الاقتراب من أحلامهم وأهدافهم وتطلعاتهم في الحياة، أو أن يتمكن من الدخول إلى قلوبهم التي خلت من الذنوب، وإلى عمق مشاعرهم النبيلة والتأثير فيها، فوسوسته لا تؤثر فيهم، ودعوته غير مستجابة عندهم، لأنهم مع الله في كل شيء، وحياتهم ساحة عبادة وطاعة وجهاد، وقلوبهم طاهرة من الذنوب والمعاصي ومن آثارها بتجنب الذنوب والمعاصي وبالتوبة منها، وقد أعطاهم الإيمان قوة فكرية وروحية وأخلاقية ونفسية تحقق لديهم مناعة ضد الشيطان وحبائله وخدعه، فهم متحصنون من الوقوع في شباكه بقوة إيمانهم وصدق إخلاصهم لمحبوبهم رب العالمين، ولم يتركوا للشيطان فراغا للدخول والنفاذ في حياتهم وقلوبهم من أية زاوية من زوايا فكرهم وخلفيات مواقفهم، ولم يتركوا له فرصة لإغوائهم وإضلالهم، وبالتالي فالشيطان لا يسبب ضرراً للمؤمنين والسائرين على طريق الله جل جلاله ونهجه القويم ما داموا قادرين على مواجهته والتغلب عليه، وإنما ضرره على الذين استسلموا إليه، وعاشوا الحياة في أجوائه، واتّبعوه فيما سّول لهم من المعاصي وزين لهم من أوجه الباطل بمحض إرادتهم واختيارهم؛ بل الحق أن الشيطان سبب لتفجير طاقات المؤمنين وتحريكها وتأهيلها وتفعيلها بفضل مقاومتهم له، وبالتالي تقدمهم وتطورهم وعروجهم في سلّم الكمال والرشد الإنساني ومنازل القرب الربوبي والزلفى لديه، بما يحققونه من انتصارات على الشيطان وأوليائه وجنوده وإخوانه من الفراعنة والطواغيت.

وهذا لا يعني أن وساوس الشيطان لا تطوف بالمؤمنين لتفسد أفكارهم ومشاعرهم وتحرف مواقفهم عن الصراط المستقيم، ولكن التقوى والإيمان يطردان تلك الأفكار والمشاعر والتوجهات الشيطانية، ويمنعانها من الاستقرار

في النفس ومن أن تتحول إلى مواقف وسلوك منحرف.

قول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[١]

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢]

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[٣]

وقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤]

وهنا تجدر الإشارة إلى الملاحظتين التاليتين، وهما:

الملاحظة الأولى: إن عدم تسلط الشيطان ليس على خواص المؤمنين فحسب، وإنما على كافة المؤمنين الأتقياء الذين يتوكلون على الله، وينحصر تسلطه على الغاوين فقط.

مقال حول عبدة الشيطان

ابتُلي عالمنا المعاصر بجماعات عبدة الشيطان، وتعتبر هذه الجماعات فاجعة إنسانية على درجة عالية من القبح والخطورة، وهي تمثل واحدة من التجليات المأساوية المروعة للسقوط إلى قاع الانحراف عن الفطرة الإنسانية الطاهرة في العالم المعاصر، ولهذه الفاجعة نماذج مماثلة ظهرت في تاريخ حضارة الإنسان المادية المنحرفة عن الفطرة والدين، متمثلة في الغنوصية وهي حركة فلسفية ودينية نشأت في العصر الهلينسي في القرنين الأول والثاني

---

١. الأعراف: ٢٠٠-٢٠١

٢. النحل: ٩٩

٣. الإسراء: ٦٥

٤. الحجر: ٣٩-٤٣

للميلاد، وفي تعاليمها شيء من السحر والشعوذة، وفي الثنوية التي تقول بإلهين: إله للخير وإله للشر، وفي الخرمية أتباع بابك الخرمي نسبة إلى بلدة بفارس، الذين يقولون بالتناسخ والحلول والإباحية، وقد دعوا الناس إلى إسقاط الفرائض والانغماس في الملذات والشهوات بلا ضابط، والصابئة الوثنية في منطقة حران بشمال العراق، وكان أول إعلان لهم في عام (١٧٠ هـ)، وقد قابلهم الخليفة المأمون العباسي، ووجدهم قد أطالوا لحاهم وشعور رؤوسهم وأظفارهم، ونجد شيئاً منها في فلسفة نيتشة (الفيلسوف الألماني: (١٨٤٤م - ١٩٠٠م) الذي كان يدعو إلى استبدال الأخلاق المسيحية القائمة على المحبة، استبدالها بأخلاق جديدة تقوم على إرادة القوة وعبادة الإنسان الأعلى الذي يضرب بأخلاق المحبة عرض الحائط، لأنها أخلاق الضعفاء[1].

وقد برزت هذه الفاجعة الإنسانية المؤلمة (عبادة الشيطان) في عدة منظمات في عالمنا المعاصر منها: منظمة (ONA) في بريطانيا، ومنظمة (OSV) في إيرلندا، و(كنيسة الشيطان) في ولاية سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي أكبر وأخطر هذه المنظمات، وقد أسسها الكاهن اليهودي (أنطوان سيلدز ليفي) في عام (١٩٦٦م)، وقد انتحر مع مئات من أتباعه، ويقدر عدد أعضائها بـ (٥٠٠ ألف) عضو، ولها فروع في أمريكا وأوروبا وأفريقيا، ويركزون على الشهوات والملذات والفحش والعداوة والانتقام، وقاعدتهم الأساسية في الحياة، هي: التمتع بأقصى قدر من الملذات قبل الممات.

يقول أنطوان ليفي في كتابه (الشيطان يريدك): «الحياة هي الملذات والشهوات، والموت هو الذي سيحرمنا منها، لذا اغتنم هذه الفرصة الآن للاستمتاع بهذه الحياة، فلا حياة بعدها، ولا جنة ولا نار، فالعذاب والنعيم هنا».

ويقولون: بأن الشيطان يكافئ أتباعه بالسرور والسعادة وامتلاك الدنيا بكل مسراتها.

---

١. المعجم الفلسفي، د. صليبا، جزء ١، مادة الأخلاق، صفحة ٥٢

ولعبدة الشيطان شعراء متخصصون في كتابة الكلمات التي تعظم الشيطان وتمجده، وتسب الله الرحمن الرحيم، وتثير الغرائز وتلهبها، وتدعو للشر والانتقام وممارسة الجنس بجميع صوره حتى مع نفس الجنس والمحارم والحيوانات، في سبيل إشباع الغريزة الجنسية إشباعاً تاماً، وتدعو للقتل والانتحار، وتقلل من أهمية النار وعذابها، ولهم ملحّنون يقومون بدمج تلك الكلمات بموسيقى صاخبة ذات إيقاع سريع، وأكثر ما يسمع عبدة الشيطان موسيقى (الهيفي ميتال) و(الهارد روك) (التي يصفها البعض بأنها ضوضاء شيطانية)، ويقيمون الحفلات العامة وينشرون أغانيهم في الأسواق.

ولعبدة الشيطان طقوس جنسية مفرطة يمارسون فيها الشذوذ الجنسي، ولهم طقوس دموية، منها شرب الدماء البشرية وذبح الأطفال بعد تعذيبهم تقرباً للشيطان، وتمزيق أجساد حيوانات حية، وقد أكد مكتب التحقيقات الفدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية أن هذه الجماعة تقف وراء الكثير من جرائم القتل وخطف الأطفال، ويقيم عبدة الشيطان طقوساً لهم في المقابر، وينبشون جثث الموتى، ويغرس عبدة الشيطان في إذهان أطفالهم أنهم شياطين، وأن الشيطان الأكبر هو إلههم ومعينهم في الشدائد.

وعبدة الشيطان ينكرون جميع الأديان السماوية ويستخفون بها، ويدوسون الكتب السماوية بأقدامهم، ويقدسون إبليس باعتباره رمزاً للقوة العظمى التي تحرك الحياة، ورمزاً للإصرار، ويرون فيه تجسيداً لفكرة إنكار الحدود وإعلان الذات والإرادة والقوة والانغماس في الملذات بدلا من الامتناع عنها، ويمثل الشيطان عندهم الوجود الحي بدلاً من الحلم الروحي والأمل الكاذب الوهمي، ويمثل الحكمة والحيوية غير المشوهة بدلاً من النفاق وخداع النفس، فأفكار الشيطان حسب رأيهم محسوسة ومشاهدة، ولها مذاقها الذي يفعل في الجسم والنفس فعل الترياق، والعمل بها فيه شفاء لكل الأمراض النفسية والوقاية منها، ويمثل الشيطان الانتقامية بدلاً من الضعف وإدارة الخد الآخر، ويمثل كل

ما يطلق عليه الخطيئة والآثام وكل ما ينبغي اقتناؤه وحيازته، لأنها تؤدي كلها إلى الإشباع الحسي والعقلي والعاطفي، ويقولون: اتبع الشيطان فهو لن يأمرك إلا بما يؤكد ذاتك، ويجعل وجودك وجوداً حيوياً.

ويرون في الممارسات الجنسية تعبيراً عن الذات وفلسفة القوة والإرادة وتعظيم اللذة، وهم ينهون عن الحب وينصحون بعدم التورط فيه، لأنه ضعف وتخاذل وتهافت وتقييد للحرية، ومانع من الحصول على الكمال الحسي المنشود، وتفريط في الحقوق الخاصة، يقولون: «فأزهق الحب في نفسك لتكون كاملاً، وليظهر أنك لست في حاجة إلى أحد، وإن سعادتك من ذاتك وملك يمينك، لا يعطيها لك أحد وليس لأحد أن يمن بها عليك»، ويرون أن العلاقة بين الناس يجب أن تقوم على أساس اللذة والمنفعة، وأن إبليس هو الذي عرّف آدم وحواء عليهما السلام شجرة الخلود أو المعرفة، ويرون أن أخلاقيات التوراة والإنجيل والقرآن لم تكن إلا من أجل تكريس الضعف وحماية الأغبياء والكسالى وقليلي الحيلة، ويرون أن الكون ليس فيه مساواة، وأن المساواة ضد طبيعة الأمور، فهم ضد المساواة، ويهاجمون العطف والمحبة والعدل والخير باعتبارها أخلاق الضعفاء، وتكريساً للعجز، ووسيلة لبقاء المتسولين والأغبياء، ويريدون أن يكون العالم محكوماً بقانون القوة، وأن يكون خلية صراع لا يوجد فيه مكان للعدل والمساواة وغيرها من قيم الضعف والهزيمة، وإنما لمفاهيم القوة والنصر، والبقاء فيه ليس للأفضل حسب المفاهيم الوهمية للخير والعطف والمحبة، وإنما للأصلح من منظور مادي؛ أي الأقوى، فإذا ضربك أحد على خدك، فأضربه بجميع يديك على جسمه كله، وانتزع حقوقك من الآخرين، وخذ كل ما ترغب في الاستحواذ عليه، ومن وجهة نظرهم: فإن الحروب مشروعة من أجل الاستعلاء والاستكبار وسيادة الفرد والجنس القوي، فمن وجهة نظرهم يجب أن يكون هناك مطلق واحد في الحياة، وهو الإنسان البطل القوي المنتصر المتأله، أي الشيطان.

ويرون أن لجوءهم للموسيقى والرقص، هو من اجل خلق الأجواء المناسبة وتهيئة المناخ النفسي الذي يمكن من خلاله اكتشاف الأقوياء من أصحاب الطموح والخيال والحس المتفرد والـذكاء النادر، وموسيقى ميتاليك من شأنها إذكاء تلك المزايا والخصال عند أصحاب المزاج النادر، ويرون أنفسهم أنهم أصحاب رسالة، وأنهم ليسوا من الخاملين أو المنحرفين، فهم موهوبون ومبدعون، ويمارسـون الحياة بدون قيود الأخلاقيين الذين أفسدوا الحياة بقيودهم، ويرون أنه قد آن الأوان للتخلص من الأخلاق، لأنها تعيق تقدم الحياة بدلاً من دفعها للتطور والتقدم، وأن هدفهم هو تحصيل البديل للدافع الديني المعاصر المتمثل في عبادة الشيطان، وأن تحصل لهم القوة والمقدرات الشيطانية والذكاء الشيطاني وإعلان الذات.

وقد ظهرت جماعة عبدة الشيطان في مصر (بلاد الأزهر) في أواخر سنة ١٩٩٦م، وأعلن عنها رسيماً للمرة الأولى بتاريخ: ٢٣/ يناير/١٩٩٧م، عندما صدر بيان عن وزارة الداخلية قال: إنهم يروجون لأفكار منحرفة تركز على تقديس الشيطان وإباحة تعاطي المخدرات وممارسة الجنس الجماعي والشذوذ وشرعية استخدام العنف، وقد ضبطت الجهات الأمنية في حوزتهم شرائط الفيديو وهي تحوي تسجيلات حفلاتهم وطقوسهم وممارساتهم الشاذة وصور فوتوغرافية لبعض العناصر شبه العارية والملطخة بالدماء أثناء ممارسة طقوسهم. وقد قبضت الشرطة على نحو (١٤٠) فرداً منهم من الذكور والإناث، ثم أفرج عنهم جميعاً، ولم يعرف ما تم بشأنهم، وكانوا جميعاً من أبناء الطبقة الغنية، من مشاهير الفنانين ورجال الأعمال والمسؤولين، وقد أخذوا معلوماتهم عن طريق الاختلاط بالصهاينة في المنطقة المصرح فيها بدخول الصهاينة إلى الأراضي المصرية بدون جوازات السفر؛ حيث تم استدراجهم بالجنس والخمور والمخدرات، ثم انتشرت عبر الأندية والمطاعم الأمريكية التي يرتادها أبناء الطبقة الراقية، وبلغ عددهم حوالي ألفي شخص، تتراوح أعمارهم بين (١٥ -٢٤) سنة، وهم من

خريجي المدارس الأجنبية، ولا يعرفون شيئاً عن الإسلام، ولا يحفظون شيئاً من القرآن.

واعتادت جماعة عبدة الشيطان في مصر تنظيم حفلات ماجنة بعد منتصف الليل من كل يوم خميس، فيمارسون على وقع موسيقى بلاك ميتال أو موسيقى الشيطان الرقص الهستيري، وعندما يحمى الوجد يتعاطون المخدرات، ويتعرون، ويمارسون الجنس الجماعي واللواط والسحاق هو شذوذ جنسي بين امرأتين بتماس أعضاء التناسل طلباً للذة مشتركة، ويلتقطون الصور لأنفسهم وهم عراة.

ومن تقاليدهم: إقامة (القداس الأسـود) وفيه يتعرى كاهنهم باعتباره الشيطان، وتتعرى أمامه فتاة وتلمس أعضاءه التناسلية، ويتطور الأمر إلى الموسيقى والغناء والرقص والجنس الجماعي، ويرمز القداس الأسود إلى الظلمة والمادة في مقابل النور وروح المسيح.

ويمارس عبدة الشيطان في مصر نبش القبور والبحث عن جثث الموتى، ويتراقص كبيرهم فوق الجثة التي يعثرون عليها، ويفضلون غالباً الجثث حديثة الوفاة، ويذبحون القطط باعتبار نفوسها من الشيطان كما في الفلكلور المصري، ويشربون من دمائها ويلطخون أجسادهم ووجوههم بها، ثم يذهبون إلى الصحراء ليعيشوا فيها أياماً لا يضيئون الشموع ليلاً، وإنما يبقون في الظلام، لأنهم يفضلون الظلمة على النور، والمادة على الروح.

وقيل في تبرير نبش القبور والمبيت في الصحراء: إنّه لتقسية القلب والتدرب على ممارسة القتل دون خوف، ولمعاينة العدم والشعور به محسوساً.

وقيل عن تلطيخ الجسم والوجه بالدم: ليكون العضو دموياً عنيفاً لا يخشى الموت ولا يرهب القتل، ويزداد إحساسه بالقوة، ويأبى عن الخضوع لأحد.

ويرتدي عبدة الشيطان في مصر الثياب السوداء، ويطلقون شعورهم، ويرسمون وشم الصليب المعقوف أو نجمة داوود على صدورهم وأذرعهم، ومن علامات الإناث: طلاء الأظفار والشفاه باللون الأسود، وارتداء الملابس المطبوع عليها

نقوش الشيطان والمقابر والموت، والتزين بالحلي الفضية ذات الأشكال الغريبة التي تعبّر عن أفكارهم مثل الجماجم ورأس الكبش.

وعبدة الشيطان في مصر لهم مراتب ودرجات، فبعضهم منتمٍ، وبعضهم أمير، وبعضهم أمير مجموعة، ويطلقون على بعضهم اسم (الشر)، وعلى آخرين اسم (الشر الأعظم)، ومن أشهر رموزهم: (رأس الكبش) الذي يرمز للشيطان نفسه، و(الصليب المقلوب)، ويدل على اتخاذ طريق عكس طريق الأديان التقليدية، و(الجمجمة) التي ترمز إلى الموت وتعاطي المخدرات.

وتوجد في مصر محلات متخصصة في ملابس عبدة الشيطان وفي موسيقاهم، وأندية خاصة ومطاعم تستقبلهم.

وقد ظهرت جماعة عبدة الشيطان في دول عربية أخرى، منها: فلسطين والأردن ولبنان والمغرب. (مصادر المعلومات: عدد من المواقع الإلكترونية والمعاجم).

وهكذا يظهر إلينا المستوى الذي وصل إليه الإنسان المعاصر في انحرافه عن الدين والعقل والفطرة واتباع خطوات الشيطان، ويظهر إلينا بجلاء ووضوح: خطورة الأزمة التي تعاني منها الإنسانية في الوقت الراهن في ظل الفراغ الفكري والروحي والأخلاقي والفراغ الإنساني، وحجم الخطر الذي يشكله أولياء الشيطان من الطواغيت والفراعنة والمستكبرين، وحجم الخطر الذي تشكله القيم المادية وصدارة قيم الوجاهة والفهلوة والكسب السريع، فإن حجم المسؤولية الملقاة على عواتق الشعوب والحكومات العربية والإسلامية والقيادات والمؤسسات الدينية كبير وخطير، ويتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله رب العباد وسبيله القويم من أجل صيانة المجتمعات الإسلامية وإنقاذ العالم من الأخطار الحضارية القاتلة، وإن النهوض بهذه المسؤولية لا يمكن أن يتحقق في ظل الكبت والاستبداد والتخلف والضعف الذي تعاني منه الشعوب والدول العربية والإسلامية، مما يثب بأن سلبيات تأخرنا ليست محلية

وإنما عالمية، وإن علينا أن نبدأ بالإصلاحات الداخلية في سبيل أداء رسالتنا العالمية المقدسة، وهذا ما يجب أن يأخذه الجميع بعين الاعتبار.

أمريكا الشيطان الأكبر

لقد رفع الإمام الخميني‌ﷺ شعار: (أمريكا الشيطان الأكبر)، ولهذا الشعار الجبار دلالات عديدة مهمة، منها الدلالات التالية:

الدلالة الأولى: إنَّ خط أمريكا هو خط إبليس الشيطان الغوي الرجيم، وعند التأمل في حقيقة خط إبليس وخط أمريكا، نجد أن أمريكا تتقدم على إبليس درجة، ذلك أن إبليس يعترف لله تعالى بالربوبية، وأنه تعالى هو صاحب الحق الوحيد في التشريع، وأن واجب المكلفين الطاعة لله وحده لا شريك له، واستناداً لذلك فهو يصف خطته بالغواية.

قول الله تعالى على لسانه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1]

أما أمريكا فهي لا تعترف لله تعالى بهذا الحق، فأمريكا ترى بأن الناس أحرار في طاعة الله ومعصيته فيما يتعلق بالعبادة الشخصية كالصلاة والصيام وعدم الزنا وعدم شرب الخمر، ولا تتدخل لفرض أو ترجيح أحد الخيارين من الناحية النظرية، وتتدخل من الناحية العملية لفرض خيار المعصية، لأنه ينسجم مع خيارها الحضاري، وتسمي ذلك تقدماً.

أما ما يتعلق بالتشريع والتنظيم الاجتماعي، ففي رأيها: أن الله جل جلاله ليس له حق التدخل في الشأن العام بالتشريع والتنظيم، وترى بأن هذا متروك للإنسان وهو حقه وحده، وهي تعطي لنفسها حق فرض خيارها الحضاري على الشعوب بالسلم وبقوة النار والحديد، ومن ليس معها فهو ضدها ويستحق العقوبة والسحق، وهي وحدها صاحبة الحق في فرض العقوبات المناسبة:

---

١. الأعراف: ١٦

السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية، وبالتالي: فإن أمريكا تضع نفسها فوق الله الواحد القهار، وتجعل من نفسها حاكماً عليه جلّ جلاله وتحدد له واجباته كما تحددها لدول وشعوب العالم، وهذا مالم يفعله إبليس الغوي الرجيم، فأمريكا أسوأ من إبليس وهي الشيطان الأكبر.

الدلالة الثانية: إنَّ أمريكا تمتلك إمكانيات مادية وبشرية في غاية الضخامة والفحش، مما يؤهلها لفرض خيارها الشيطاني على الشعوب المستضعفة بقوة الحديد والنار، مما يرشحها بحق لحمل لقب «الشيطان الأكبر»، فليس هناك من هو أجدر منها بخدمة خط وأهداف وأطروحات الشيطان في الأرض.

الدلالة الثالثة: إنّ حقيقة أمريكا الحضارية ومنهجها في التعامل مع الشعوب المستضعفة كحقيقة الشيطان ومنهجه في التعامل مع الناس؛ لا خير ولا منفعة فيهما ترتجي للناس أبداً.

قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[1]

فالحقيقة الخبيثة للشيطان وأمريكا تفرض حتما بأن لا يخرج منهما إلا النكد وهو: العسر والشدة والشؤم، فلا يمكن أن نتوقع من الشيطان أو أمريكا الخير والمنفعة للناس والشعوب أبداً وإن تظاهرا بخلاف ذلك، وقد صرّح الشيطان بحقيقة وعمق عداوته للإنسان، ودلت التجارب على أن أمريكا كذلك، وعلينا أن نتعلم الدرس وأن نكون في غاية الحذر من أمريكا، فأمريكا بخيارها الحضاري البعيد عن الله تبارك وتعالى، وبمنهجها البرجماتي المحض في التعامل مع الشعوب، لا يمكن أن تفعل الخير للشعوب المستضعفة، فعلى الشعوب المستضعفة أن تنظر بعين الحذر وتتعامل بحذر شديد مع أطروحات ومشاريع

١. الأعراف: ٥٧-٥٨

ومواقف أمريكا مهما تظاهرت بالرغبة في خدمة الشعوب وقضاياها المصيرية، وفي المنطقة علينا أن لا نفرق بين أمريكا والكيان الصهيوني، فهما طبقتان في سروال واحد، ووجهان لعملة واحدة.

مرابطة العلماء الروحانيين في حراسة الحدود الإلهية والإنسانية

لقد أصبح في غاية الوضوح حجم ونوعية المخاطر التي تهدد المسيرة الإنسانية العظيمة في الأرض، فالظلم في العالم المعاصر كثير كثير، وشبهات الشياطين ووساوسهم كثيرة كثيرة، وإن البشرية مهددة بالانسلاخ من إنسانيتها في ظل الأطروحات الوضعية الشيطانية وفرض مناهج الشيطان في الحياة بالإغراءات وقوة السلاح والاستبداد، وكلنا مطالبون بالوقوف في وجه الأطروحات والمناهج ومقاومتها بكل الأساليب المشروعة المتاحة، ولكن العلماء الروحانيين عليهم مسؤولية مضاعفة في ذلك، فهم القادة الحقيقيون في حماية ثغور الدين والإنسانية.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم من الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب. ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا، كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا، وذلك يدفع عن أبدانهم»[1].

فهذا الرباط المقدس على ثغور العقائد والإنسانية، الذي تمثل قلوب ضعفاء المسلمين وعقولهم حدوده، وهي حرم الله الذي لا ينبغي للشيطان وعفاريته المضلين أن يدخلوها، هذا الرباط هو أفضل أنواع الجهاد في سبيل الله تعالى، ومن واجبات المرابطين: رصد حركات العدو، وسد المنافذ التي يمكن للعدو الدخول منها إلى الحدود الشرعية المقدسة لقلوب ضعفاء المسلمين

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٨

وعقولهم، فعلى العلماء الروحانيين العاملين أن يحرسوا هذه الحدود الشرعية المقدسة، وأن لا يسمحوا لإبليس وعفاريته أن يدخلوها وينتهكوا حرماتها، وأن يستحضر العلماء الروحانيون أنهار الدماء الطاهرة المقدسة من الأنبياء والأوصياء والمؤمنين التي سفكها الأعداء في سبيل اقتحام هذه الحدود ولم يسمحوا لهم بذلك، والمطلوب من المرابطين على هذه الحدود المقدسة أن يعرفوا قيمة هذه الحدود عند الله جل جلاله وفي الحضارة الإنسانية على الأرض وحجم مسؤولياتهم عنها، وأن لا يهنوا ولا يضعفوا في الدفاع عنها وحمايتها من انتهاك ودخول الأعداء إليها، وإلا فهم ليسوا أهلاً للشرف الذي تعنونوا به، وإن فعلوا ما أمرهم الله تعالى به في الدفاع عن الحدود وحمايتها من انتهاك الأعداء لها، كان عملهم أفضل من الدفاع عن الحدود المادية للأرض الإسلامية والمصالح والمكتسبات المادية والدنيوية للمسلمين، فليست الدنيا كالآخرة، وليست المصالح المادية كالمصالح الدينية والمعنوية للإنسان في نفسه ودنياه وآخرته، وأول ما يحصل عليه من الثواب أن الله تعالى يلقنه حجته في قبره.

قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: «من قوّى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته، على ناصب مخالف فأفحمه، لقنه الله تعالى يوم يدلي في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي، وعلي وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدتي، والمؤمنون إخوتي، فيقول الله، أدليت بالحجة، فوجبت لك أعالي درجات الجنة، فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة»[1].

وأما عن ثواب الآخرة، فقد قالت الصّديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام: سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف خلعة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم

١. نفس المصدر، ج ١، ص ١٠

أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذ عنهم من العلوم، حتى إن فيهم لمن يخلع عليه مائة ألف حلة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم، وكذلك من بمرتبتهم ممن يخلع عليه على مرتبتهم.

ثم قالت عليها السلام: إن سلكاً من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف مرة.[1]

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «أوحى الله تعالى إلى موسى: حببني إلى خلقي، وحبب خلقي إليّ. قال: يا رب كيف أفعل؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي ليحبوني، فلئن ترد آبقاً عن بابي أو ضالاً عن فنائي، أفضل لك من عبادة مائة سنة بصيام نهارها وقيام ليلها.

قال موسى عليه السلام: ومن هذا العبد الآبق منك؟

قال: العاصي المتمرد.

قال: فمن الضال عن فنائك؟

قال: الجاهل بإمام زمانه تعرفه، والغائب عنه بعد ما عرفه، والجاهل، تعرفه شريعته وما يعبد به ربه ويتوصل به إلى مرضاته.

قال علي بن الحسين عليه السلام: فبشّروا علماء شيعتنا بالثواب الأعظم والجزاء الأوفر»[2].

لنتأمل بدقة كبيرة ما جاء به الحديث الشريف، يقول: بأن الذي يستطيع أن

---

١. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣

٢. نفس المصدر، صفحة ٤

يرجع آبقاً أو يهدي ضالاً إلى ربه فعلمه أفضل من مائة سنة عبادة، ليست من عبادتنا وصلاتنا وصومنا نحن، وإنما من عبادة وصلاة وصوم نبي الله وكليمه وأحد أولي العزم: موسى بن عمران عليه السلام، فعلينا أن نعلم هذه القيمة العظيمة جداً لهداية الناس إلى الله تبارك وتعالى، وألا نقصر في الدعوة إلى الرب الرحيم وهداية الناس إليه.

المطلوب منا ليس لعن العاصين والمقصرين والشماتة بهم أو التكبر عليهم ونزعم بأننا خير منهم، وإنما المطلوب هو الحرص على هدايتهم إلى الله ربهم الرحمن الرحيم تبارك وتعالى، وإعادتهم إلى حظيرة قدسه وطاعته وولايته، هذا هو المطلوب من المؤمنين ولاسيما العلماء الروحانيين منهم، ولنقتدي في ذلك بالأئمة عليهم السلام، ومن ذلك موقف الإمام موسى بن جعفر الكاظم (باب الحوائج) عليه السلام مع أبي نصر بشر بن الحارث، الذي كان من أصحاب المعازف والملاهي، فلما سمع عن انحرافه وغواية الشيطان الرجيم له، لم يلعنه، ولم يشتمه، وإنما قصده وتوجه لإعادته، نعم إعادة هذا العبد الآبق إلى ربه الرحمن الرحيم، الذي يحب عودة عباده الآبقين إليه، والإمام موسى بن جعفر عليه السلام هو رسول الرب الرحيم إلى عباده، يعرفهم به، ويهديهم إليه، وإنه يقف بكل قوته وبكل ما يملك على الجبهة المضادة للشيطان، ووظيفته إنقاذ عباد الله الرحمن من مخالب الشيطان الرجيم، وليس لعنهم وشتمهم أو التفرج عليهم وعدم الاكتراث بهم، وقد ضحى الإمام الحسين عليه السلام بنفسه وبأهل بيته وخاصة أصحابه من أجل هداية الناس وإنقاذهم من الشيطان ومن مخالب أئمة الضلال مثل يزيد بن معاوية ومن على شاكلته، وكل مؤمن لاسيما العلماء الروحانيين هم رسل الرب الرحمن الرحيم إلى عباده جميعاً.

لقد خرج الإمام الحنون الحريص على الناس جميعاً موسى بن جعفر عليه السلام من بيته، وتوجه إلى باب دار العبد الآبق (بشر بن الحارث) في الوقت الذي كان يجتمع فيه هذا العبد الآبق مع أصحابه الآبقين في بيته لسماع الغناء والمعازف

وشرب الخمر، فلما وصل على باب الدار، وإذا بجارية تفتح الباب، وتخرج من البيت لترمي بآثار الجريمة في الطريق، فسألها صاحب القلب الرحيم الحريص على الناس: بيت من هذا؟

فأجابت: بيت سيدي فلان.

فسألها العبد الصالح الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : سيدك هذا حر أم عبد؟!

فقالت متعجبة: أقول لك سيدي فتسألني حر هو أم عبد؟!!

فقال عليه السلام : نعم؛ حر أم عبد؟!

فأجابت: هو حر.

فقال عليه السلام ليبلغ الرسالة للعبد الآبق: صدقت لو كان عبداً لخاف مولاه!!

ولما دخلت البيت سألها مولاها الآبق: ما أبطأك؟

فأبلغته الرسالة المختصرة جداً، والبليغة جداً.

قالت: رجل مارّ في الطريق تبدو عليه آثار الصلاح والتقوى، فسألني بكذا وأجبته بكذا!! فلما أنهت حديثها فكر ملياً فيما نقلته إليه، وعرف على الفور صاحب الرسالة البليغة الصادقة ومعدنها الإنساني الأصيل، ووقع أثر الرسالة في قلبه، ففتحته على مصراعيه لتلقي النور والرحمة، وخرج حافياً يجد في طلب صاحب الرسالة، الأب الحنون الحريص على الناس جميعاً.

فلما بلغه وقع على قدميه يقبلهما!!

قال: سيدي هل لي من توبة؟

قال عليه السلام : نعم؛ تب يتب الله عليك!!

فتاب العبد الآبق: (بشر بن الحارث)، على يدي العبد الصالح: (الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) توبة نصوحا، ولم ينتعل (بشر) من يومه ذاك نعالاً حتى مات، ليبقى يتذكر خروجه حافياً ليتوب إلى ربه عز وجل على يد سيده ومولاه الإمام

موسى بن جعفر عليه السلام، وليخلّد لنا درساً في أخلاق المؤمنين ومنهجهم في الدعوة إلى الله المحمود، وما يحملونه في قلوبهم من الرحمة على الناس جميعاً، وما يحملونه من الحكمة في الدعوة والحياة.

وقد أصبح (بشر بن الحارث) بعد يومه ذاك عارفاً عابداً زاهداً، وصار يعرف بـ(بشر الحافي) عليه الرحمة والرضوان.

وهكذا ينبغي أن يكون كل مؤمن بفطرته السليمة، حريصاً على هداية الناس جميعاً، وعودة العاصين: الآبقين والضالين إلى ربهم الرحمن الرحيم الذي يشفق عليهم ويشتاق إلى عودتهم.

قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]

فليس المطلوب من المؤمن لعن العاصين والضالين والتشفي منهم والتكبر عليهم، فليس هذا بمنهج المؤمنين، وليس بخلقهم وتربيتهم، وليس بأدبهم الرباني الذي تأدبوا عليه، وليس بلون فطرتهم المصبوغة بالرحمة والمحبة والطيبة، والطاهرة من التلوث والتكبر والشماتة واحتقار الآخرين والتشفي منهم، وليس بالذي يرضي ضمائرهم الحية، وليس بالذي يعبر عن وجدانهم الديني والأخلاقي النبيل، وليس بالذي يحقق أهدافهم وغاياتهم العالية والسامية في الحياة.

قال الله تعالى في وصف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]

---

١. الأنعام: ٥٤

٢. التوبة: ١٢٨

فلسفة الاستعاذة

ما من موجود في الممكنات إلا وله كمال من جهة وفقر من جهة ثانية، ولكل منها عشق لما حصل من الكمال، وشوق إلى ما هو فاقد له منه، ولهذا حكموا بسريان العشق والشوق في كل الموجودات[1].

والإنسان بحسب فطرته الأصلية التي أبدع عليها في أول أمره ومبدأ تكوينه، يمتاز من بين الموجودات بأنه ذو بعدين، وأنه واقع بين تصرف الشيطان وتصرف الرحمن كما سبق توضيحه، وأن أمر الله تعالى للإنسان بالاستعاذة هو من أجل خروج الإنسان من تحت تصرف الشيطان ودخوله تحت تصرف الرحمن، والبُعدان هما:

البعد الأول: البعد الإنساني

ويسمى العقل والروح، وهو الجانب الملكوتي النوراني والنفخة الربانية للإنسان، ولهذا البعد قدر عظيم ومنزلة عالية شريفة، وهو مسجود الملائكة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[2]

---

١. تفسير الشيرازي، ج ١، ص ٨

٢. الحجر: ٢٨-٢٩

وبسبب هذه النفخة الربانية وجدنا السير التكاملي للإنسان وقَطْع منازل القرب والزلفى من العلي الأعلى سبحانه وتعالى، وشاهدنا ما يتنعم به الإنسان من لذات روحية؛ كلذة العبادة والعلم والمعرفة والتعاون ومساعدة الآخرين و... الخ، ومن جنود هذا البعد الرباني: العفة والصبر والحلم وكل الفضائل ومكارم الأخلاق، وهي تصون العبد من المعاصي، وتهديه إلى صراط العزيز الحميد، وبها يراعي الإنسان حدود الله الرب الرحمن الرحيم، وحقوق العباد ومصالحهم، وتتكون لدى الإنسان مجموعة الإدراكات والمشاعر التي تجعله يرتفع فوق مستوى الحيوانات، ويتجاوز بتفكيره حدود الماديات والمصالح المادية كالوضع المعاشي والغذاء والسكن، ويتعداها إلى المعنويات وقيم العقل والدين والأخلاق.

البعد الثاني: البعد الحيواني

ويسمى الجسم وهو مجموعة الغرائز والميول لدى الإنسان، وهذا البعد مظلم وهو مصدر لجميع الشرور والجرائم والدمار والفساد والظلمات والنيران في العالم التي يثيرها الفراعنة والطواغيت وقوى الاستكبار العالمي وكل السيئين في العالم من الحروب الظالمة المدمرة على الشعوب والدول المستضعفة، وسفك الدماء والقتل بغير حق خارج دائرة القانون، والظلم للناس والاعتداء على حقوقهم العادلة ومصالحهم ومكتسباتهم المشروعة، ويلصق هذا البعد الإنسان بالأرض، ويدخله إلى الظلمات الروحية والمعنوية، ولا يسمح له بالتحليق في فضاء النور والفضيلة، فهو لا يريد للإنسان أن يتوجه للعبادة لأنها صعبة ومتعبة، ولا يريد للإنسان أن يعطي من أمواله لأنه يخاف الفقر و... إلخ، ويكون الإنسان مع الركون لهذا الجانب من أولياء إبليس، وأكثر وحشية من كل حيوان وأكثر ظلمة، وهذا البعد المنظور في اندهاش الملائكة وتعجبهم.

قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا

لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]

ومن الواضحات لدى علماء الأخلاق وأصحاب العرفان، وإن الإفراط في لذات الجسم حتى المباح منها - مؤلم للروح؛ كالإفراط في الأكل والشرب والنوم وإشباع الشهوات وكسب المال.

ولو أمعنا النظر في غرائز الإنسان، لوجدنا الشقاوة والظلام كامنين فيها متى أرسل لها الإنسان العنان، فلا يمنعه مانع من فعل الشر. فإذا غلبته الغريزة الجنسية، مثلاً: فإنه لا يغض بصره عن أعراض الآخرين ولو تزوج بنساء الدنيا كلها، وإذا تغلبت عليه غريزة حب المال، فلا يملأ عينيه شيء وإن ملأ بنوك الشرق والغرب من الأموال وملك الأرض كلها، ولن يملأ عينيه إلا التراب، وإن سيطرت عليه غريزة الرئاسة، فإنه يكون مستعداً لقتل العالم كله في سبيل الحصول على الرئاسة أو البقاء فيها.

ملاحظات مهمة

وهنا تجدر الإشارة إلى عدة ملاحظات مهمة في موضوع البحث، وهي:

الملاحظة الأولى: إن الإنسان يملك حرية الاختيار بين السير في طريق الحق والخير والنور أو السير في طريق الباطل والشر والظلام، وإن قيمة الإنسان وميزته تكمن في هذه القدرة على الاختيار، فإن اختار طريق الحق والعدل والخير والنور، كان أفضل من الملائكة، وإن اختار طريق الباطل والظلم والشر والظلام، كان أخس من البهائم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2]

---

١. البقرة: ٣٠

٢. الإنسان: ٢-٣

وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[2]

والنتيجة: إنّ الاستعاذة ليست مجرد موقف يتطلع فيه الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى لكي يحل مشكلته ويرفع مكانه بدون أن يقوم بأي جهد إرادي في طريق الهداية والصعود، وإنما تعني أن الإنسان يفر من مصادر الشر والظلام والفساد في الأرض، يفر من الفراعنة المستبدين، والطواغيت الضالين، وقوى الاستكبار العالمي الناهبين لثروات الشعوب ومقدراتها، وكل السيئين من الأتباع والعملاء الكلاب، ويستجير بربه القوي العزيز، ويستمد منه القوة والنور والهداية في طريق الحق والخير والعدل والإصلاح في الحياة، لينطلق من خلال ذلك كله لمواجهة المواقع المضادة التي تصنع الفاسد والظالم والظلام في الأرض بكل يقين وقوة وصمود وثبات، وبذلك ينتصر في ساحة النفس والمجتمع بالإرادة والإيمان والممارسة، ويخرج نفسه ومجتمعه من ساحة الشيطان وحكومته، ليبقى بحق وحقيقة في ساحة الله تبارك وتعالى وسلطانه.

الملاحظة الثانية: إن الإنسان إذا اختار طريق الحق والعدل والخير والنور وسيطرة البعد الروحي الإنساني، الذي هو طريق تزكية النفس وتطهيرها وتهذيبها، وسيطرة الشرع والعقل والوجدان الأخلاقي على البعد الحيواني، وركب هذا البراق الإنساني الذي لا يملكه أي ملك مقرب حتى جبرائيل عليه السلام، فإنه بما يملك في ذاته من قوة الارتقاء والسير التكاملي والاستعداد والأهلية لاكتساب كل فضيلة وكمال، والتخلص من الشرور والآفات، والعروج إلى قمة الكمال، والاتصال بعالم الأنوار، والسكن في عالم الملكوت الأعلى، متنقلاً في ذلك من مقام إلى مقام، ومن منزلة إلى منزلة، فما من مقام أو منزلة يصل إليها إلا ويشتاق إلى

---

١. البلد: ١٠

٢. الشمس: ٧-١٠

ما ورائها ولا يقنع بها حتى يحصل إلى الكمال الأتم والغاية القصوى والجلال الأرفع والنور العظيم في الحضرة الإلهية؛ حيث يصل إلى حالة الانقطاع عما سوى الله تبارك وتعالى، والعبودية المطلقة له وحده لا شريك له؛ حيث لا يرى في الوجود إلا الله الواحد الأحد، ولا يعلم بشيء في الوجود سواه، ولا يسيطر على قلبه أي شيء إلا الله تبارك وتعالى، ويكون قلبه عرش الرحمن، وهو منتهى الكمال الإنساني ونهاية طريق السلوك والسعادة الحقيقية ومنبع السرور ومعدن الخير والنور، فالإنسان كلما اقترب في حركته التكاملية من الساحة الإلهية المقدسة، عن طريق الطاعة والعبودية لله الواحد القهار، حاز الكمالات الإنسانية أكثر، ويكون نصيبه من النعم الإلهية والسعادة أوفر.

ومن الواضح جداً - مما سبق - لكل فطن لبيب، أنه لا يوجد حد نهائي لمسيرة الإنسان التكاملية، فحده النهائي عند الله تبارك وتعالى وفي جواره، وعندما يصل إلى ذلك الحد، فإنه يبقى متمتعاً بالإفاضات الربوبية، إفاضة بعد إفاضة، وكمال فوق كمال، ونظرة بعد نظرة، وقد وصل الرسول الأعظم الكرم ﷺ إلى مقام الخاتمية والولاية والعروج إلى الحد الفاصل بين الخالق والمخلوق بسبب تزكيته لنفسه، وعبوديته المطلقة لرب الأرباب خالق العباد وخالق كل موجود.

يُروى عن الرسول الأعظم الأكرم ﷺ أنه قال بما معناه: «رأيت ليلة المعراج مكان ومقام الذين يدخلون الجنة، ورأيت قصوراً أوسع من الدنيا بنيت من اللؤلؤ والمرجان، وجاء الخطاب يا رسول الله: هذه القصور هي لعبادي الذين عرفوني. يا رسول الله: إنني أنظر إلى عبادي هؤلاء سبعين مرة كل يوم، وأفيض عليهم في كل نظرة، ثم أقول لهم: يا عبادي: ليتنعم أهل الجنة بنعمهم، ولتكن نعمتكم هي حديثي معكم وحديثكم معي أي أكلمكم وتكلموني».

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ

١. القيامة: ٢٢-٢٣

مُقْتَدِرٍ﴾[1]

وقال الله تعالى عن امرأة فرعون آسية بنت مزاحم رضي الله تعالى عنها وأرضاها: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2]

تأمل قولها: (عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ).

لم تقل: بيتاً في الجنة، وإنما قالت: عندك؛ أي بقربك وفي جوارك.

فهذه المرأة الصالحة: ترى بأن العيش في قصر فرعون ونظامه الطاغوتي سجن لروحها الإنسانية الطاهرة، وترى أيضاً: بأن العيش في الجنة بعيدة عن الله تبارك وتعالى سجن كذلك، فهي تريد أن تعيش في الجنة قريبة من المحبوب، لكي تقر عينها بالنظر إلى المحبوب والحديث معه.

قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]

فالذي يريد السير التكاملي بالنفس البشرية وقطع منازل القرب من الله تبارك وتعالى منزلاً بعد منزل، عليه أن يبدأ بتهذيب النفس وتزكيتها وتطهيرها، وأن يتوجه إلى الله في كل ما يقوم به من الأعمال صغيرها وكبيرها، وأن يخلصها من الشوائب التي تزلق الإنسان إلى مهاوي الضلال والردى، وألا يخضع للشيطان والفراعنة والطواغيت وقوى الاستكبار العالمي، ولا يخضع للهوى والنفس الأمارة بالسوء، ولا يستسلم للغرائز والشهوات وما تمليه عليه نفسه الضعيفة من الضعف والجبن والبخل والراحة والكسل والخمول و... إلخ، فإن هو فعل ذلك، فسوف تكون السعادة في الدارين من نصيبه، ويبلغ أعلى الدرجات في الجنة

---

١. القمر: ٥٤-٥٥

٢. التحريم: ١١

٣. السجدة: ١٧

وأشرفها منزلة، كما اتضح فيما سبق.

قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]

و إن أول مراحل السير إلى الله تبارك وتعالى اتّباع العقل.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب»[2].

و سُئل الإمام الصادق عليه السلام: ما العقل؟

قال عليه السلام: ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان.

قال السائل: فالذي في معاوية؟

قال عليه السلام: تلك النكراء، تلك الشيطنةّ وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل.[3]

ومن جهة ثانية: إذا اختار الإنسان طريق الباطل والظلم والشر والظلام، ولم يرتض بالرياضات الدينية، ولم يتأدب بالآداب العقلية والوجدان الأخلاقي، وسمح بسيطرة الجانب الحيواني الذي هو مجموعة من الشهوات والغرائز الحيوانية على الجانب الإنساني، فإن الإنسان يصبح من أعداء الله تبارك وتعالى وأولياء الشيطان الغوي الرجيم، وإن الهوى والشهوة والغضب وما ينتج عنهما من ميول مثل حب المال والثروة، وحب الرئاسة والسلطة، تسيطر على العقل وتستخدمه لمصلحتها، لأنه واقع في عالم البعد عن الله تبارك وتعالى وفي مهوى الشيطان الغوي الرجيم، حتى يصبح الإنسان أشد وحشية من أي حيوان مفترس

---

١. الأنعام: ١٦٢-١٦٣

٢. الكافي، ج ١، كتاب: العقل والجهل، ح ١، ص ١٠

٣. نفس المصدر، ح ٣، ص ١١

على وجه الأرض، ويصل إلى حد الانسلاخ من إنسانيته تماماً، والكون من جنود إبليس والفراعنة والطواغيت، يشاركهم في مخططاتهم لظلم الناس وإضلالهم وإهلاكهم وسلب حقوقهم العادلة المشروعة والترويج إليها، ويمكن أن يكون واحداً منهم، فلا يرى الحق، ولا يسمع الموعظة، فيصنع القنبلة الذرية ويفجرها ليقتل بها مئات الآلاف من الناس الأبرياء، ويسجن ويشرد ويسلب الحقوق العادلة والمكتسبات المشروعة من الناس، كل ذلك من أجل الرئاسة والسلطة وحب المال والثروة. والمحصلة النهائية لهؤلاء الأشقياء التعساء السقوط إلى قعر جهنم وبئس المصير.

إن الإنسان ما لم يراعِ الحدود الشرعية الإلهية، ويضع حداً للهوى والشهوات والغضب، ويتأدب بآداب العقل والشرع والوجدان الأخلاقي ويزكي نفسه ويعقلها، فإن نفسه الحيوانية المنقادة للشيطان وجنوده سوف تحرقه في الدنيا قبل الآخرة، ولو أتيح لها فإنها سوف تحرق العالم بأسره وتؤججه بنارها، فإن النار الكامنة في النفس الحيوانية الآمرة بالسوء، أشد خطراً على الإنسان من النار التي تذيب الحديد، ويكفي أن ننظر للدول المثيرة للحروب وعلى رأسها أمريكا والكيان الصهيوني ونظام صدام الملعون، وما يفعله الفراعنة والحكام المستبدون بشعوبهم، لنعلم بحقيقة هذا القول وخطر النفس الحيوانية الأمارة بالسوء على الإنسان والحضارة والمجتمعات الإنسانية.

ويلزم من ذلك: أن يسلك الإنسان طريق القرب إلى الله تبارك وتعالى، فينظر أي الأعمال يكون فيها رضا الله تبارك وتعالى فيعملها؛ أي يعمل الواجبات ويترك المحرمات فرضاً، ويحرص بجد وإخلاص وقوة على عمل المستحبات وترك المكروهات، ويزكي نفسه ويطهرها من الذنوب والمعاصي والآثام، ويحليها ويزينها بفضائل الأخلاق ومحاسنها. وينظر أي الأعمال يكون فيها رضا الشيطان ورضا إخوانه من الفراعنة والطواغيت من أتباع الهوى والشهوات والمعاصي والذنوب والآثام والخوف والطمع والركون إلى الخمول

والكسل والغضب؟ فيتركها، وينظر أي الأعمال يكون فيها غضبهم؟ فيعملها، وأن يتوجه إلى الله في كل ما يقوم به من الأعمال كبيرها وصغيرها، ولا يترك الاختيار إلى النفس الضعيفة التي تحب الدعة وتميل إلى الراحة، فإن في ذلك رضا الشيطان الغوي الرجيم والتقرب إليه، والحرمان من درجات القرب من الله الرحمن الرحيم ذي الجلال والإكرام، وأن يحرص كل الحرص، وأن تكون له كل العناية في رقي الدرجات وقطع المنازل في الكمال والرشد الإنساني والعروج إلى الله تبارك وتعالى، بتهذيب النفس وتزكيتها وتطهيرها من رذائل الصفات الحيوانية الخسيسة الهابطة، وتخليصها من الظلمات وإزالة الحجب التي تراكمت عليها بسبب الشهوات والمعاصي ورذائل الأخلاق من الظلم والحسد والتعدي على الآخرين والتآمر عليهم، فإن ذلك كله من الموانع التي تحول بين الإنسان والاستضاءة بنور العقل والهدي الإلهي، وإدراك الحقائق والالتذاذ بها، وتصيّر الإنسان من جنود إبليس وإخوانه من الفراعنة والطواغيت، ولذلك لابد من إزالتها جميعاً من أجل إنسانية الإنسان ورقيه، وإدراك الوجود النوراني والالتذاذ به، والسير في طريق الحق والخير والعدل والنور والسعادة والكرامة للإنسان في الدنيا والآخرة.

والإنسان في مسيرة حياته في الدنيا: إمّا أن يخرج بعض الكمالات أو كلها من القوة إلى الفعل، وإما أنه يخرج مقابلاتها وأضدادها كلها أو بعضاً منها من القوة إلى الفعل. فإذا خرج الإنسان من عالم الدنيا إلى الآخرة، فقد بطلت قوته وزال استعداده، فهو إمّا سعيد بالفعل وإما شقي بالفعل، وبحث تفاصيل أحوال الناس بعد الموت خارج عن دائرة هذا البحث.

والحاصل آن الإنسان كلما كان أكثر فوزاً بالمقاصد التي يشتقاها ويطلبها، كان أعظم حرصاً وأشد رغبة في تحصيل الزائد عليها.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «منهومان لا يشبعان: منهوم علم ومنهوم

مال»[1] (والمنهوم: المولع بالشيء).

الدرس المستفاد: إن ما يصلح العالم هو العقل المتكامل الذي ينفر منه الشيطان، وهو يحصل أكثر كلما أفنى العبد نفسه في ذل العبودية وعز الربوبية، فبالعقل تطفأ النيران التي يؤججها جنود الشيطان وأذنابهم العملاء والمأجورون، وباتباع الهوى والنفس الأمارة بالسوء، وبالانغماس في الشهوات والملذات المحرمة تزداد اشتعالاً وتأججاً واضطراماً.

فجنود الشيطان، إذا صار أحدهم قوياً أحرق الدنيا بما فيها، وإن صار غنياً منع المال عن الفقراء والمحتاجين وملأ الأرض بالفساد، وإن صار عالماً سخر العلم للأغراض الشيطانية، وهكذا...

وأما عباد الله الصالحين، فهم أساس العمران وعلى أيديهم تصلح الأمور في المجتمع والعالم، فإن أوتي أحدهم بسطة في المال أو العلم أو الجاه والمكانة أو السلطان، فإنه يسخره في إصلاح العالم وإطفاء نيران الفتن الدينية أو الطائفية أو العرقية، وإطفاء نيران الحروب، ويراعي أحكام الله وحدووده في الحرب والسلم، حاكماً ومحكوماً، ولا يضيع حقوق الناس ولا يسلبها ولا يكون سبباً في شيء من ذلك، وهكذا...، فهو مصداق للعدل الإلهي وحكمة الرب من خلال المنهج الذي يمن به ويطبقه في حياته العامة والخاصة.

قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[2]

الملاحظة الثالثة: إن مقامات الإنسان ومطالبه في الكمال غير متناهية، ولكل مقام ومنزلة شيطاناً مخصوصاً له حبائله المانعة من حصول السعادة المطلوبة والكمال المترقب، وكلما كان السالك أفضل وأجمل، ومقامه أعلى وأكمل، كان شيطانه أقوى وأغوى وأضلّ عن الصراط المستقيم، وله من وجوه

١. الخصال، باب: الاثنين، ص ٥

٢. الحج: ٤١

الحيلة ما هو أدق وأخفى، ولا قدرة للعبد على الشيطان وكافة الشرور والآفات ولا قِبل له بها، كما لا قدرة لجميع الخلائق على تلك الشرور والآفات، ولا قِبل لهم بها إلا بالرجوع إلى الله العليم القوي العزيز القاهر فوق عباده، والغالب الذي لا يغلب على شي مما يريد، الذي قدرته شاملة لجميع المقدورات، وعلمه محيط بها من جميع الوجوه والجهات، فيقول العبد: أعوذ بالله من شر ما خلق، ومن شرما أعلم وما لا أعلم.

ومما سبق ندرك بأنه لابد للسالك في كل مقام ومنزلة أن يتعوذ بالله تبارك وتعالى من الشيطان الغوي الرجيم الذي لا يقبل المصانعة ولا يداري بالإحسان، ومن شروره وحبائله، لكي ينجو من الشرور، ويتغلب على العوائق والموانع التي تعيقه وتقطع عليه الطريق إلى الله تبارك وتعالى وكمال إنسانيته، وتجرّه من عالم الروحانيات إلى حضيض عالم المادة، ولكي يحصل على مطلوبة وكمالة وغاية وجوده، وهذه خاصية يمتاز بها الإنسان من بين جميع الموجودات، لأن لديه القابلية والاستعداد للرقي والكمال حتى ينتهي إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولديه القابلية والاستعداد للهبوط حتى ينسلخ من إنسانيته ويهوي إلى قعر جهنم، وليس غيره من الموجودات كذلك مما يجعله في حاجة دائمة للاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم من الـشرور والآفات، وللخلاص من الظلمات الشاغلة له عن عالم الأنوار في كل مقام ومنزلة، فما خير من الخيرات إلا وهو يحتاج إلى تحصيله، وما شر من الشرور إلا وهو يحتاج إلى دفعه عنه وإبطاله، ولا قوة له بذلك إلا بالله العلي العظيم القاهر الغالب غير المغلوب.

يقول صدر المتأهلين الشيرازي: «ولما ثبت أنه لا نهاية لجهات نقصان العبد ودرجات فقره وفتوره وقصوره، كما لا نهاية لكمال رحمة الله وقدرته ومبالغة عنايته وحكمته، ثبت أن الاستعاذة بالله واجبة في كل الأوقات عقلاً كما يجب سمعاً، فيجب علينا في كل قول وعمل ومبدأ كل لفظة ولحظة أن نقول ضميراً

أو لساناً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[1].

وأما بخصوص حالة الإنسان قبل أن يبدأ السلوك الروحاني، فسوف نتناول ذلك في بحث: «أركان الاستعاذة» إن شاء الله تعالى.

الملاحظة الرابعة: إن خسارة الإنسان إذا اختار طريق السقوط خسارة نوعية لا تُقدر بقدر ولا بثمن من أثمان الدنيا كلها، لأن الإنسان بحسب فطرته لديه الاستعداد للحصول على أعلى الدرجات في الجنة، والوصول إلى مكان ليس فيه إلا الله تبارك وتعالى، وتكون ألذ لذاته المعنوية: النظر إلى الله والحديث معه، والاقتباس من نوره، ولكنه إذا اختار طريق الشيطان وتوغل في هذا الطريق، يكون كدودة القز يلتف حول نفسه ويضيّق عليها ليقضي على وجوده؛ بدلاً من التحليق في عالم الفضيلة والنور والكمال، وقطع منازل القرب والزلفى والوصول إلى أعلى الدرجات وأشرفها، وينسلخ من إنسانيته، ويهوي إلى أسفل درك في الجحيم وبئس المصير.

قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[2]

وقول الله تعالى عنهم حينما يُلقون في جهنم أنه يقال لهم: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[3]

فأي ظلم - أيها الناس - يظلم الإنسان به نفسه بعد هذا الاختيار الأسوأ؟!

أيها الأحبة الأعزاء: إن عمر الإنسان هو أنفس النفائس في الوجود، فلا يوجد في الوجود جوهر أغلى من عمر الإنسان، فعلى كل إنسان أن يعرف حقيقة وعظمة الجوهرة النفيسة التي يملكها، والتي هي أنفس النفائس في الوجود، وأن يعرف كيف ينفقها ويتصرف فيها، ويعرف ماذا يربح إذا أحسن التصرف، وماذا

---

١. تفسير القرآن الكريم، صدر المتألهين، جزء ١، صفحة ٣١

٢. الأعراف: ١٧٩

٣. المؤمنون: ١٠٨

يخسر إذا أساء التصرف!!

رسالة غاية في الأهمية: إلى الذين يهدرون أعمارهم، تلك الجواهر النفيسة التي لا تُقدر بثمن من أثمان الدنيا مهما كانت، يهدرونها في خدمة الشياطين والفراعنة والطواغيت وقوى الاستكبار العالمي، ويلقون بأنفسهم إلى قعر جهنم - والعياذ بالله - بتحقيقهم للأغراض الخبيثة لأولئك، فيحرقون جوهر حياتهم وأنفسهم بنيران أولئك في الدنيا والآخرة، ولا سيما المحسوبين على الدين من العلماء والمثقفين والوجهاء والتجار وغيرهم، أفيقوا قبل فوات الأوان، أفيقوا قبل فوات الأوان، أفيقوا قبل فوات الأوان، فإن الموت والحساب ينتظركم، وإنه لا صداقة لكم مع ملك الموت، وقد يفاجئكم الموت في أية لحظة!!

وإلى الذين يضيعون أعمارهم وشباب حياتهم في خدمة القضايا التافهة والأعمال المبتذلة؛ بدلا من خدمة القضايا الإنسانية وقضايا الشعوب والمستضعفين الرفيعة والأعمال النافعة.

وإلى الذين يقضون أفضل أوقاتهم من الليل والنهار - ولا سيما الشباب - يقضونها أمام التلفاز، وفي الضحك واللهو واللعب والنوم والفراغ، أو يقضونها في الفجور والحرام؛ بدلا من قضائها في طلب العلم والعبادة وطلب الرزق الحلال، وفي الدفاع عن قضايا الشعوب والمستضعفين العادلة، والمطالبة بالحقوق والمكتسبات المشروعة، على هؤلاء جميعاً أن يفيقوا من سكرتهم التي هم فها يعمهون، ويتداركوا أنفسهم قبل فوات الأوان، فإن الموت والحساب ينتظرهم، ولا صداقة لهم مع ملك الموت، وقد يفاجئهم الموت في أية لحظة ولن ينظرهم ملك الموت إذا جاء أجلهم لحظة واحدة.

قول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]

---

١. مريم: ٣٩

وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۝١٠١ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۝١٠٤ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٠٥ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۝١٠٩ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۝١١٠ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[2]

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[3]

وقول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[4]

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ

---

١. المنافقون: ٩-١١

٢. المؤمنون: ٨٩-١١١

٣. الأحزاب: ٧٢

٤. سورة العصر

سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1]

أيها الأحبة الأعزاء: إن للإنسان في هذه الحياة الدنيا ضالة وحيدة يبحث عنها، ويقضي حياته في الوصول إليها، وضالته هو الله ذو الجلال والإكرام، وليس الجاه، وليس المال، وليس الرئاسة، وليس الدنيا بأكملها، فإن ذلك لا يساوي عند أهل الله جناح بعوضة.

قول الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «لو عدلت الدنيا عند الله عز وجل جناح بعوضة أو ذبابة، ما سقى الكافر منها شربة»[2].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[3] (عفطة عنز: المخاط الذي تتنثره من أنفها عند العطس).

نسأل الله تعالى التوفيق لوجدان الهمة العالية، وعدم الخمول والكسل، وعدم الاعتناء بالدنيا والمصالح المادية الضيقة، وألا نكون من الحمقى الذين يخدمون الدنيا ويكونون عبيداً لها، وهي التي من المفترض أن تخدمهم وتكون تحت تصرفهم.

---

١. التين: ٤-٦

٢. بحار الأنوار، ج ٧٣، باب: حب الدنيا وذمها، ص ١٢٤

٣. نهج البلاغة، الخطبة: ٣

أحكام الاستعاذة

وسوف نتناولها في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وفي مدرسة الخلفاء.

أولاً: في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

المشهور في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، أنه تستحب الاستعاذة قبل الشروع في القراءة في غير الصلاة، وقبل الشروع في القراءة في الركعة الأولى خاصة من كل صلاة، سواء كانت فريضة أم نافلة، بعد تكبيرة الإحرام أم بعد أدعية التوجه، ولا تتكرر، ولو نسيها في الركعة الأولى لم يأت بها في الثانية، ويستحق الإخفات بها.

قال الشيخ البهائي: «الاستعاذة عندنا مختصة بالركعة الأولى، وتخافت بها، وما ورد من أن الصادق عليه السلام جهر بها محمول على الجواز»[1].

وهنالك أقوال شاذة بوجوبها[2] وتعديتها لكل ركعة يقرأ فيها[3] والإجهار بها[4].

والأشهر في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الصيغة الأولى: (أعوذ بالله من الشيطان

---

١. مفاتيح الفلاح، الشيخ البهائي، ص ٣٨

٢. بحار الأنوار، ج ٨٥، باب: القراءة وآدابها وأحكامها، ص ٦

٣. مستدرك الوسائل، ج ١، ص ١٩٣

٤. وسائل الشيعة، ج ٤، باب: استحباب الاستعاذة في أول الصلاة قبل القراءة وكيفيتها، ح ٤-٥، ص ٨٠٠-٨٠١

الرجيم)، والصيغة الثانية: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)[1].

وقد ورد التخيير بين الصيغتين، ورجح بعض الفقهاء الصيغة الثانية[2].

وقال العلامة المجلسي: «الظاهر التخيير بين أنواع الاستعاذة الواردة في النصوص، ولولا الأخبار الكثيرة لتأتّى القول بوجوب الاستعاذة في كل ركعة يقرأ فيها، بل في غير الصلاة عند كل قراءة، لكن الأخبار الكثيرة تدل على الاستحباب، وتدل بظواهرها على اختصاصه بالركعة الأولى، والإجماع المنقول والعمل المستمر مؤيد»[3].

وينبغي التنبيه إلى أني لم أعثر في مصادر مدرسة أهل البيت عليهم السلام على الصيغة الثامنة، وهي: (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم).

ثانياً: في مدرسة الخلفاء

المشهور في مدرسة الخلفاء، تستحب الاستعاذة قبل الشروع في القراءة في غير الصلاة، وقبل الشروع في القراءة في الركعة الأولى من الصلاة، بعد تكبيرة الإحرام أو بعد دعاء الاستفتاح، ويستحب الإخفات بها.

وهناك أقوال للإمام مالك وابن سيرين وإبراهيم النخعي وداود بن علي الظاهري وحمزة، بأن الاستعاذة تكون بعد القراءة، وروي ذلك عن أبي هريرة، وقيل عن فائدته: بأنه لدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة.[4]

وهنالك أقوال بتعديتها لكل ركعة يقرأ فيها، وقال الشوكاني: الأحوط الاقتصار على ما وردت به السنة، وهو الاستعاذة قبل قراءة الركعة الأولى فقط.[5]

---

١. بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ٥

٢. جواهر الكلام، ج ٩، ص ٤٢١

٣. بحار الأنوار، ج ٨٥، باب: القراءة وآدابها وأحكامها، ص ٦

٤. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٤ - تفسير أبي السعود، ج ٥، ص ١٤٠

٥. فقه السنة، ج ١، ص ١٤٨-١٤٩

ويرى الشافعية: التخيير بين الجهر بها والإخفات في الصلاة الجهرية. وهو سنة في كل ركعة من الركعات.[١]

ويرى المالكية: «أن التعوذ مكروه في صلاة الفريضة، سراً كان أم جهراً، أما في النافلة: فإنه يجوز سراً ويكره جهراً»[٢]. وقيل عن الإمام مالك: «أنه لا يتعوذ في الفريضة، ويتعوذ لقيام رمضان في أول ليلة منه»[٣].

وقال عطاء ابن رباح: بوجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة.

وقال ابن سيرين: إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب.

وقيل: إنها واجبة على الرسول الأعظم الأكرم ﷺ دون أمته.[٤]

ويثير فقهاء مدرسة الخلفاء السؤال التالي: هل الاستعاذة للتلاوة أو للصلاة؟

ويوجد عندهم قولان:

القول الأول: إنّ الاستعاذة للتلاوة وليست للصلاة، ويقول بهذا الرأي الإمام أبو حنيفة.

القول الثاني: إن الاستعاذة للصلاة، ويقول بهذا الرأي أبو يوسف، وعلى حسب هذا الرأي فإن المأموم يتعوذ وإن لم يقرأ.

وعن الاستعاذة في صلاة العيد، المشهور في مدرسة الخلفاء هو الاستعاذة بعد تكبيرات العيد وقبل القراءة، وفيها قول لأبي يوسف بأنها بعد الإحرام وقبل تكبيرات العيد[٥].

---

١. الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٢٥٦

٢. نفس المصدر

٣. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٤

٤. نفس المصدر

٥. نفس المصدر، صفحة ١٥

تفكيك الاستعاذة وتحليلها

وفيها مسألتان، وهما:

المسألة الأولى: عناصر الاستعاذة

تتألف الاستعاذة من ثلاثة عناصر رئيسة، وهي:

العنصر الأول - الإنسان: المستعيذ، والاستعاذة تدل على شعوره بالحاجة إلى جلب كل خير لنفسه، ودفع كل شر عنها، وحرصه التام على ذلك الدفع للشر والجلب للخير، وعلمه بفقره الذاتي وعجزه عن جلب المنافع لنفسه من تلقاء نفسه، ودفع المضار عنها كذلك، واعترافه العلمي والعملي بذلك الفقر والعجز، وعلمه بعجزه عن مقاومة العدو الباطني المبين الذي هو الشيطان الغوي الرجيم، واعترافه بذلك؛ بل علمه واعترافه بعجز جميع الخلائق عن جلب المنفعة ودفع الضرر، فييأس من كل ما سوى الله تبارك وتعالى من أغنياء ووجهاء وحكام وغيرهم ويلتجئ إلى الله تبارك وتعالى، وقد أثبتت التجارب أن كل من اعتز بغير الله ذل، وكل من استجار بسواه خاب.

ومن طبع الإنسان، أنه إذا أقبل عليه شر يحذره ويخافه على نفسه، وأحس من نفسه الضعف، فإنه يلتجئ إلى من يقوى على دفعه عنه، وحمايته منه، ويكفيه وقوعه، وبالتالي فإن أمر الاستعاذة ينبع من فطرة الإنسان السوي ووجدانه الداخلي قبل أن يكون تكليفاً شرعياً.

العنصر الثاني - إبليس اللعين: ذلك الروح الشرير المضلل الماكر، والعدو اللدود للإنسان بل هو أعدى أعدائه، الذي يتربص بالإنسان على الصراط المستقيم ليصرفه عن الله تبارك وتعالى، وليقطع عليه الطريق إليه وإلى سعادته الحقيقية المنشودة وكرامته، حسداً منه للإنسان على طاعته لله تبارك وتعالى ومناجاته وسجوده له، وقد طرد هو عن مقام القرب، ولعن بسبب تركه لسجدة واحدة لم يوفق إليها، وهو لا يقبل المصانعة ولا يداري بالإحسان، لأنه العدو اللدود للإنسان المجاهر بعداوته، وهو يرى الإنسان من حيث لا يراه، وهو مبدأ كل بعد ونقصان، ومنشأ كل شر وحرمان وخسران، ولا يكاد يخلو إنسان من وسوسته وشروره، وعجز الإنسان من تلقاء نفسه وعجز الآخرين عن صده، وعليه فمن الواجب أن يبدأ العبد كل عمل يقوم به لاسيما ما يريد به وجه ربه يبدأه بالاستعاذة بالله رب العباد من مكائد الشيطان الغوي الرجيم وشروره وضلالته، وتشتد هذه الحاجة في الأعمال العبادية التي يراد بها التقرب إلى الله جل جلاله، فإن الشيطان يضاعف جهده لإبعاد العبد عن ربه، ويسعى بكل قواه لأن يفسد عليه عبادته وكل عمل يطلب به وجه ربه عز وجل، وخصوصاً الصلاة التي هي عمود الدين وأحد الأعمال إلى الله ومعراج المؤمن إلى ساحة القرب، فإن تمكن الشيطان من قلع العمود، هان عليه هدم البنيان وتقويضه من الأساس.

قول الله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾[1]

وقال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد

١. النساء: ١١٧-١٢١

ولا غشاء»[1]. (والغشاء: هو الستر).

ومن مكائد الشيطان في الصلاة أن يشغل المصلي بفكر الآخرة وعلوم الدين وبتدبير فعل الخيرات، ليمنعه من الحضور والتوجه لفهم ما يقرأ وما يقوم به من الأفعال في صلاته. وفي الحقيقة: فإن كل ما يشغل المصلي عن الإقبال على الله الرب المحمود جل جلاله، وعن الانقطاع إليه سبحانه وتعالى والاستغراق في جلال الوقوف بين يديه، وعن فهم معاني القرآن والأذكار ودلالات الأفعال في الصلاة فهو من الوسواس، لأن حركة اللسان والجسد ليست هي المقصودة في نفسها، وإنما المقصود هو المعنى والمعايشة وتركيز الوعي بآفاق الصلاة ومدلولاتها، والمحافظة على الحالة الصلاتية بكل أبعادها، والاستفادة الفعلية منها في تربية الذات وتكميلها والاقتراب من الله ذي الجلال والإكرام وقطع المنازل إليه، والدخول إلى ساحة قدسه وولايته، والخروج من ساحة الشيطان وولايته وطاعته.

ولأهمية الصلاة وخصوصيتها بين العبادات ومنزلتها العالية في الإسلام، فإني أقدم بحثاً مختصراً عن الصلاة في صورة مقالة قصيرة.

مقالة مختصرة حول الصلاة

قيمة الصلاة: بين خيار صعود الإنسان إلى الله رب العباد والعودة إليه جلّ جلاله، واكتساب الفضائل ومكارم الأخلاق، وإبراز الصفات الحسنة في الإنسان وإظهارها من القوة إلى الفعل، وقطع منازل التكامل الإنساني الروحي والمعنوي في طريق العودة إلى الله الصمد الرب الرحمن الرحيم والتقرب إليه والفوز برضاه والجنة، وهو الهدف الحقيقي لوجود الإنسان، الذي ينبغي عليه سلوك الطريق للوصول إليه، وعدم الغفلة عنه، والحذر كل الحذر من أن يصرفه صارف أو يشغله شاغل عن الوصول إليه.

---

١. الكافي، ج ٣، باب: فضل الصلاة، ح ٩، ص ٢٦٦

بين ذلك الخيار المقدس العظيم، وبين خيار الارتماء في أحضان الشيطان الغوي الرجيم، والانغماس في الشهوات والملذات الحسية، وأن يكون الإنسان أسير الرذائل والممارسات القبيحة، والانسلاخ من الإنسانية والسقوط إلى حظيرة البهيمية، والتعرض لغضب الله جبار السماوات والأرض، والسقوط إلى قعر جهنم، والاحتراق بلهيبها ونارها، نعوذ بالله من ذلك ونستجير به منه، وهو الذي ينبغي للإنسان أن يكون في غاية الحذر منه.

بين ذينك الخيارين: تتجلى قيمة الصلاة في إبراز هدفية الوجود وبلوغ هدف الإنسانية وكمالها اللائق بها، وتفجير قابليات الإنسان الروحية والمعنوية الكامنة في وجوده، وتحقيق سعادة الإنسان الحقيقية المنشودة وكرامته، والحصول على نصيبه من اللذائذ الروحية والمعنوية في الدنيا والأخرة.

فبالصلاة يتصل العبد بربه، ويقف عند حدود أمره ونهيه، ويكتسب الفضائل ومحاسن الأخلاق وكل ما هو خير وجميل من خلال تخلقه بأخلاق الرب ذي الجلال والإكرام، ويستيقظ الضمير الإنساني، وتحيا المشاعر النبيلة والمعاني، وتنمو النزعة الخيرة في الإنسان ورعاية حقوق الجميع دون تباطؤ أو تردد، وتتفجر طاقاته وقابلياته الخيرة الكامنة في وجوده، وتوظف بأجمعها في إصلاح نفسه والمجتمع والإنسانية أجمع، ويكون نافعاً لنفسه والمجتمع وللنوع الإنساني، ويبتعد عن بواعث الخبث والشر والظلم والطغيان والكذب والسرقة لأموال الناس ونهب ممتلكاتهم وسلب حقوقهم ومكتسباتهم المشروعة، ويحرق جذور الانحطاط والمعاصي والفساد والنوازع الفردية في نفسه وتقديم المصالح الشخصية على حساب المصالح العامة، وينقذ نفسه من الانغماس في الشهوات والملذات المادية من كافة الشرور، ويقف كالبنيان المرصوص في مواجهة الشيطان والهوى والشهوات والملذات والذنوب والأحداث الجسام والكوارث المادية والاجتماعية، لأن الإنسان المحدود الذي يتصل بالله الكامل المطلق المسيطر ذي الجلال والإكرام، ويقف عند حدود أمر ونهيه، يتحول إلى

كائن جبار عظيم، يمتلك إرادة فولاذية لا تلين وقوة جبارة لا تقهر، ولا يصدر عنه إلا الخير والعمل النافع الجميل، وتتكامل الإنسانية فيه، وتتعمق وتترسخ لديه المسؤولية تجاه المجتمع، ويفوز برضا الرب الرحمن الرحيم والجنة، لأنه يقف بين يدي رب رحيم كريم لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يحب الخير والعدل والصدق والصفاء والطهر والتعاون والبر والعطف والإحسان والتواضع والمثابرة والصبر والعمل الصالح وكل ما له صلة بالفضائل والصفات الحميدة الحسنة الجميلة والكمالات الإنسانية ويكره أضدادها.

قول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ﴾[1]

وقال الرسول الأعظم الكرم ﷺ: «من أحب أن يعرف أن صلاته قبلت أم لا، فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر، فبمقدار ما منعته قبلت منه».

وقال ﷺ: «لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهن تجرأ عليه فأدخله في العظائم»[2] (أي الكبائر من المعاصي).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «أن علة الصلاة أنها إقرار بالربوبية لله عز وجل، وخلع الأنداد، وقيام بين يدي الجبار جل جلاله بالذل والمسكنة والخضوع والاعتراف، والطلب للإقالة من سالف الذنوب، ووضع الوجه على الأرض كل يوم إعظاماً لله عز وجل، وأن يكون ذاكراً غير ناسٍ ولا بطر، ويكون خاشعاً متذللاً، راغباً للزيادة في الدين والدنيا، مع ما فيه من الإيجاب والمداومة على ذكر الله عز وجل بالليل والنهار، لئلا ينسى العبد سيده وخالقه فيبطر ويطغى، ويكون ذكره لربه وقيامه بين يديه، زجراً له عن المعاصي، ومانعاً له عن أنواع الفساد»[3].

---

١. العنكبوت: ٤٦

٢. الكافي، ج ٣، باب: من حافظ على صلاته أو ضيعها، ح ٨، ص ٢٦٩

٣. وسائل الشيعة، ج ٣، باب: وجوب الصلاة، ح ٧، ص ٤

فما أجمل أن يجد الإنسان المؤمن المصلي معنى وقيمة للحياة يستشرفهما من خلال الصلاة، وأن يجد هدفاً للوجود يضفي على وجوده قيمة ومعنى، ويحول دون ضياع الإنسان وحيرته في الحياة، وأن يجد راحته وسروره وسعادته وكرامته في ذلك، وأن يتحرك في سبيل تحقيق ذلك الهدف العظيم والسعادة القصوى، باستقامة ونشاط وهمة وقوة قلب واطمئنان، دون تراجع أو توقف أو تردد وبمختلف الطرق والوسائل، ويتجنب بحذر شديد ووعي كامل، كل ما يضره أو يعيقه عنه أو يحرفه عن طريق الوصول إليه وبدون ذلك تغدو الحياة تافهة ولا معنى لها ولا طعم ولا قيمة.

فالغرض من الصلاة هو الاتصال بالله رب العباد وتعظيمه والاستغراق في ذكره، والوقوف بين يديه في خشوع وتذلل، خائفا منه، راجياً رحمته، تائباً من ذنوبه، منيباً إليه، فإن في الصلاة قراءة وأذكارا تنطوي على مضامين رفيعة، وفيها أعمال تملي على الإنسان جلال الوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى، وحري بالعبد المصلي أن يتأمل في القراءة والأذكار التي يتلوها، ويبحث عن الدلالات المعنوية للأعمال التي يمارسها المصلي من القيام والقعود، والركوع والسجود، فإن من شأن ذلك أن يوسع رؤية المصلي للحياة، ويرشده إلى الصراط المستقيم والنهج القويم، ويركز وعيه الإيماني المتميز في الخير والعطاء والجمال، ويوقظ شعوره بنفسه وطريقه وغاية وجوده في الحياة، ويصونه من الضياع والانحراف في غمرة الانشغالات اليومية وضغوطات الحياة القاسية.

فالصلاة بمثابة جرس الإنذار الذي يلفت انتباه الإنسان إلى مضي الوقت وانتهاء العمر، وتحفزه على العمل وتحمّل المسؤولية بصورة أفضل، والوفاء بتعهداته والتزاماته الواقعة في طريق الهدف، وعمل ما هو أهم بقوة معنوية وإرادة لا تنفذ، وهي البوصلة التي تحدد اتجاهه في الحياة نحو هدفه، فهي تحمل خلاصة العقيدة، وترشد المؤمنين إلى مسؤولياتهم وواجباتهم في الحياة والطريق الصحيح لبلوغ الغاية والهدف النهائي الذي وجد من أجله في استقامة

ولطف وواقعية، وتصد هجمات الأعداء التي تحاول أن تهدم سد مناعتهم، وتغير أصالة وجودهم، وتنهب كنوز حزانتهم من القيم والمعارف الربانية والعلوم السماوية، وتحصن ثغور وجودهم بالعزم والإرادة الفولاذية التي لا تقهر ولا تلين.

وقد شبه الإمام السيد علي الخامنئي (حفظه الرب الرحمن الرحيم بحفظه وأمد في ظله الظليل)، شبه الصلاة بالسلام الوطني للدول مع فارق المعنى ونوع العطاء، وأن الدول تلجأ إلى تكرار السلام الوطني من أجل ترسيخ أصولها ومتبنياتها الفكرية في ذهن الشعب، وتذكيرهم أنهم أتباع هذا الوطن، وتزويدهم بالشجاعة والإقدام، وجعلهم مستعدين للعمل والخدمة تجاه أهداف الدولة وتحقيقها، وأن نسيان ذلك أو تجاهله من شأنه أن يؤدي إلى تغيير المسار وعدم انتهاجه في حياة المواطنين[1].

ومن هنا تتضح أهمية توزيع الصلاة على الأوقات الخمسة في الليل والنهار.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[2]

وقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3]

وقول الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[4]

---

١. من أعماق الصلاة، الإمام الخامنئي، ص ١٤

٢. طه: ١٤

٣. هود: ١١٢-١١٤

٤. الإسراء: ٧٨-٨١

وقال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «لو كان على باب دار أحدكم نهر واغتسل في كل يوم منه خمس مرات، أكان يبقى في جسده من الدرن شيء؟

قلت: لا.

قال: فإن مثل الصلاة كمثل النهر الجاري، كلما صلى صلاة كفرت ما بينهما من الذنوب»[1].

ومن يكن كذلك تقو علاقته بربه، ويطهر قلبه من البغض والأحقاد والآثام ومساوئ الأخلاق، ولسانه من الكذب والقول الفاحش والبذيء، وجوارحه من الذنوب والجرائم والجنايات والتجاوزات الشرعية وكل ما يكون مصدراً للفساد والشر والانحراف، ويصلح ظاهره وباطنه، ويحسن عمله في السر والعلن، ويتحدد بحدود الإنسانية، ويستقيم مع عباد الله جميعاً، فلا يتعدى على حقوق الآخرين، ولا يفسد في الأرض، ولا يتوحش مع الآخرين، ولا تسيطر عيه الأنانية والغرور، ويكون للصلاة عنده أحسن الأثر في تهذيب النفس وتقويم الأخلاق وتحريك العقل ودفعه إلى التأمل في كل مناحي الحياة، فيتعمق إيمانه، وتترسخ معرفته بإله العالمين، ويشتد تقيده بالحدود والقيم والمبادئ الإسلامية السمحة، ويزداد خيره ومنفعته للمجتمع والإنسانية قاطبة، لأنه لا قيمة للإيمان والاتصال بالله تبارك وتعالى ما لم ينعكس على أعمال الإنسان وسلوكه، ويشع على أعضائه وجوارحه.

وهكذا تكون الصلاة مصدراً للخير والعدل والأمان والسكينة والسعادة والكرامة والرقي في حياة الإنسان وتطور المجتمعات الإنسانية.

أما العبد الذي يترك الصلاة فتنقطع صلته بربه، وتوأد الفضائل ومكارم الأخلاق في نفسه، ويكون أسير الأنانية وحب الذات وتفضيل المصالح الخاصة على المصالح العامة، ويتورط في الرذيلة والإجرام والشرور ومساوئ الأخلاق، لأنه

---

١. وسائل الشيعة، ج ٣، باب: أعداد الفرائض ونوافلها، ح ٣، ص ٧

انقطع عن مصدر الخير والعمل النافع الذي يغذي إنسانيته ويوجهه نحو الخير والعمل الصالح، وينهاه عن السيئات والأعمال الضارة للمجتمع والإنسانية، ومصيره إلى النار وبئس للظالمين بدلاً.

وأما أن يأتي الصلاة وقلبه غافل عن ربه، مشغول بشهواته والحسابات المادية في الحياة، فإن صلاته لا تثمر الثمرة المطلوبة منها.

قال الرسول الأعظم ﷺ: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه».

لهذا ينبغي أن يحرص المؤمن على إقامة الصلاة، والخشوع فيها، ويحافظ على التوجه وحضور القلب، ولا يغيب عنها بالوساوس والخواطر الضارة.

قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1]

وهنا أشير إلى المراتب العامة للحضور، وهي ثلاث:

المرتبة الأولى: أن يتحرك اللسان والقلب غافل.

المرتبة الثانية: أن يتحرك اللسان والقلب يتبع اللسان، فيسمع ويفهم منه كأنه يسمع من غيره.

المرتبة الثالثة: أن يسبق القلب إلى المعنى أولاً، ثم يترجم اللسان ما في القلب، فيكون اللسان ترجمان القلب، ومن وعلامات ذلك، زوال التعب والمشقة وملالة الذكر، ويحصل النشاط والفرح والسرور بالعبادة وهذه منزلة المقربين. وثمة فرق كبير بين المنزلتين: الثانية والثالثة - كما هو واضح لكل ذي لب.

المنزلة الخاصة للصلاة في الإسلام

لهذا تحظى الصلاة في الإسلام بمنزلة خاصة متميزة لا تعدلها أية عبادة أخرى، فهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به، وأحب الأعمال إلى الله تبارك وتعالى

١. المؤمنون: ١-٢

وأفضلها وأجلها قدراً وأعظمها شأناً، فصلاة فريضة خير من عشرين حجة، كل حجة خير من بيت مملوء ذهباً يتصدق منه العبد حتى يفنى؛ بل هي أفضل عند الله تبارك وتعالى من ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، كل حجة أفضل من الدنيا وما فيها، وهي قربان كل تقي، وآخر وصايا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في حياتهم الدنيا، وهي معراج كل مؤمن إلى الله تبارك وتعالى، وهي خير العمل، والميزان والمعيار لسائر أعمال العبد، وأول ما ينظر فيه من عمل العبد ويحاسب عليه يوم القيامة، فإن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت رد ما سواها، وكل عمل الإنسان تابع للصلاة كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «كل شيء من عملك تبع لصلاتك»[1].

وعلى ذلك يقول جوادي آملي: «تكون أسرارها أعمدة أسرار الدين، إن نيلت وشوهدت أسرارها تنال وتشاهد أسرار ما عداها، فبالحري أن يجاهد السالك ويجتهد العارف لأن ينال ويشهد ما هو عمود أسرار الدين، حتى ينال الدين كله ويشهده تمامه، ويستظل تحت ولائه جل شأنه، يوم لا ظل إلا ظله»[2].

ومثل الصلاة كمثل النهر الجاري، فمن اغتسل في النهر الجاري خمس مرات في اليوم، لا يمكن أن يبقى في بدنه شيء من الوسخ، كذلك: من صلى خمس مرات في اليوم لا يمكن أن يبقى عليه شيء من الذنب، وإذا قام المصلي إلى الصلاة نزلت عليه الرحمة من أعنان السماء إلى أعنان الأرض، وحفّت به الملائكة، وناداه ملك: لو يعلم هذا المصلي ما في الصلاة ما انْفَتَلَ، وليس بين المسلم وبين أن يكفر إلا أن يترك الصلاة.

وقد فرضها الله الرب الرحيم على عباده بمخاطبة الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله ليلة المعراج من غير واسطة عندما بلغ السبحة، وهي الحد الفاصل بين الخالق والمخلوق، مما يعني أن الصلاة تستوعب تمام كمال الإنسانية وسيرتها التكاملية

---

١. نهج البلاغة، كتاب ٢٧

٢. أسرار الصلاة، آية الله جوادي آملي، ص ٣

في صلة العبد بالله الخالق الأحد واكتساب صفات الكمال.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى إلى العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً»[1].

فليس لمسلم أن يتخلى عن الصلاة بحجة أنه لا يحتاج إليها لأنها إنما فرضت على العوام لتربيتهم وتهذيبهم كما يذهب إلى ذلك بعض المتصوفة، أو كما يذهب بعض المنبهرين بالحضارة المادية والتقدم العلمي من القول بأن الحاجة إلى الصلاة التي مارسها الآباء والأجداد واقتبسوا منها الكمالات قد انتهت، وأن الإنسان في الوقت الراهن لا يحتاج إلى الصلاة في ظل التقدم العلمي الذي فتح للإنسان سبل الخير والسلام، وفي ظل التربية المدنية تهذب نفس الإنسان وسلوكه، فهذه ادعاءات كاذبة وفارغة من المضمون والحقيقة، فقد أثبتت التجارب والمشاهدات بأن الأجهزة الأمنية لم تنجح في الحد من الشرور والجريمة والفساد بالدرجة المعقولة، ولم يستطع التقدم العلمي والتكنولوجي وارتقاء الإنسان في الحضارة المادية أن يوفر للإنسان السعادة والطمأنينة، فالجريمة والأمراض النفسية والبغي والظلم وتباعد القلوب وتدهور الأخلاق، يزداد يوماً بعد يوم في ظل ابتعاد الإنسان عن ربه، مما يثبت بكل تأكيد أن الحضارة المادية للإنسان في أمس الحاجة إلى الارتباط بالله، حتى يحصل التعاون والتوازن بين الحضارة المادية وبين تكامل الإنسان الروحي والأخلاقي، مما يعود على الإنسان بالخير والمنفعة في الدنيا والآخرة.

قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2]

وقد التفت علماء النفس والتربية والاجتماع إلى ذلك، فأخذوا ينادون

١. وسائل الشيعة، ج ٣، ح ١، ص ٢٥

٢. طه: ١٢٤

بضرورة توجيه الأجيال إلى الإيمان والتركيز على القيم الروحية وتغذيتها بواسطة العبادات وفي مقدمتها الصلاة، حتى يقل الشر والفساد في المجتمع وتتضاءل الأمـراض النفسية، ويسود الحق والعدل ويندحر الظلم والباطل، وتتحقق الطمأنينة والسعادة والكرامة للإنسان، وشذ عن ذلك عبدة الشيطان والسائرين على نهجهم المظلم القاتم، الذين يرفضون السير على طريق الله جل جلاله ويفضلون عبادة الهوى والنفس الأمارة بالسوء وعبادة الشيطان الغوي الرجيم على عبادة الله الرب الواحد الغفور الرحيم.

وقد بلغ حرص الإسلام على الصلاة وعنايته بها أن أمر بالمحافظة عليها في الحضر والسفر، والأمن والخوف، والصحة والمرض.

قول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[2]

وقد استفاضت الروايات في الحث عليها وأدائها في أوائل أوقاتها، وشددت

١. البقرة: ٢٣٨-٢٣٩

٢. النساء: ١٠١-١٠٣

النكير على من يفرّط فيها، وهـددت الذين يضيعونها ولا يقيمونها لوقتها وحدودها بأشد العذاب.

قول الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[1]

وقال الرسول الأعظم الكرم ﷺ: «ما بين المسلم وبين أن يكفر إلا أن يترك الصلاة الفريضة متعمداً، أو بتهاون بها فلا يصليها»[2].

وقال ﷺ: «ليس مني من استخف بالصلاة، لا يرد علي الحوض لا والله»[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة»[4].

وقال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «لا تضيعوا صلاتكم، فإن من ضيع صلاته حشر مع قارون وهامان، وكان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ على صلاته وأداء سنة نبيه»[5].

فالمطلوب من كل مسلم أن يولي الصلاة اهتمامه وعنايته، وأن يمحضها إقامة وحضوراً وتوجهاً وإخلاصاً، فيتفرغ إليها في أول وقتها، ويحفظ حرمتها ولا يقدم أو يفضّل عليها أي شيء مهما كان، فليس شيء أهم من الصلاة، وكان الرسول الأعظم الأكرم ﷺ إذا حضر وقت الصلاة، كأنه لا يعرف الناس ولا يعرفونه.

وعلى المسلم المصلي أن يعرف معنى وقيمة وجلال الوقوف بين يدي الله جل جلاله، فيختار إلى الصلاة أفضل الحالات، مثل: الصلاة جماعة في المسجد وفي أطهر الثياب وأنظفها، وأن يتعطر ويتزين، وأن يفرغ باله من كل شيء

---

١. مريم: ٥٩

٢. وسائل الشيعة، ج ٣، ح ٦، ص ٢٩

٣. نفس المصدر

٤. نفس المصدر

٥. نفس المصدر

يشغله عنها ويضر بحضور القلب والتوجه فيها، وأن يفرغ فيها مخزونه المعرفي والروحي والأخلاقي ومضمونه الإنساني، فالصلاة بمثابة المعيار لقياس الدرجة التي وصل إليها العبد في كماله وقربه من الله تبارك وتعالى، فبقدر قربه وكماله نجد حضوره وتوجهه وإخلاصه ونظره وتبصره في الصلاة واستفادته منها، ولن يتجاوزها مهما بلغ كماله المعنوي ودرجة قربه من ربه. وحقيق بكل مؤمن أن يبكي لكل ما يضيعه من الصلاة ويفقده منها: إقامة وحضوراً وتوجاً وإخلاصاً وتحصيلاً، وألا يقصر في تعريف المؤمنين بها وحثهم على إقامتها والاهتمام بها وحفظ حدودها وأن يعيش الجميع في خط الصلاة وجهتها، في الوقت الذي تتحشّد فيه قوى الشر والطاغوت بجميع ما لديها من الإمكانيات والمكائد لكي تنعدم بواعث الإصلاح والخير في المجمعات، ولهذا نجد نبي الله إبراهيم عليه السلام يسأل ربه بأن يجعله وذريته مقيمين للصلاة.

قول الله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[1]

العنصر الثالث - الله تبارك وتعالى: وهو منتهى السلوك ومصدر سعادة الإنسان وكماله، وهو القادر وحده على خزي إبليس اللعين، وصيانة الإنسان من آفاته، وإبطال حبائله ومكائده التي يكيد بها للإنسان، وهو يرى الشيطان، والشيطان لا يراه، وهو يحبط علماً وقدرة، وهو الذي خلقه ويملك وجوده. لهذا يلتجئ الإنسان لرب العباد الحكيم القاهر فوق عباده تبارك وتعالى ويتضرع إليه، لكي يصونه من آفات الشيطان، ويتفضل عليه بإفاضات الخيرات والحسنات.

وتتضمن الاستعاذة الثقة بالله تبارك وتعالى والتوكل عليه والخوف منه، فالإيمان والتوكل ملاك صدق العبودية والاستعاذة، وكل من لم يتوكل على الله فهو من أولياء الشيطان ولم يستعذ بالله العلي العظيم.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا

---

١. إبراهيم: ٤٠

سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[1]

وكل إنسان يُقدم على الحياة وفي مختلف المهمات، وهو يعتقد بأن وراءه قوة خير قادرة تهديه إلى الخير والعمل الصالح وتعينه عليهما، وفي نفس الوقت تراقبه وتحاسبه يوم القيامة حساباً دقيقاً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وتجازيه بالإحسان إحساناً، وبالسيئات عقوبة ونيراناً، فإن ذلك يدفعه لفعل الخير والعمل الصالح، ويساعده على الثبات عليهما والاستمرارية في طريقهما، والحذر من فعل الشر والعمل السيئ والحرام، والحرص على عرض الأفكار والمواقف على الله تبارك وتعالى وشريعته والسعي لتحصيل مرضاته، واتخاذ ذلك معياراً ومقياساً للحق والخير والعدل، والاهتداء بهدي الله تبارك وتعالى والتمسك بأوليائه عليهم السلام.

والخلاصة: إن العمدة في الاستعاذة بالله تبارك وتعالى، هو علم العبد بنفسه وربه، فما لم يعرف العبد عزة الربوبية، وذلة العبودية، لا يصح منه الاستعاذة بالله تبارك وتعالى.

يقول صدر المتألهين الشيرازي: «إن الصادر عن العبد إما العمل وإما العلم، وهو في كلا البابين في غاية العجز فعلى صعيد العلم: فما أشد حاجة العبد إلى الاستعاذة بالله في إزالة الشبهات ودفع الأغاليط والوساوس والشكوك، ولا يكفي في ذلك أصل الفطرة، ولا استعمال القوانين الميزانية، فكم من الأكياس والعلماء المشهورين بالفضل والبراعة، رأيناهم قد بقوا في شبهة واحدة طول عمرهم ولم يعرفوا الجواب عنها، وظنوا علما يقيناً وبرهانا جلياً، ثم المبين بنور الكشف وشواهد الربوبية، خلاف ما زعموه، ومضاد ما تصوروه، وإذا جاز ذلك على البعض، جاز على الكل. كيف ولولا هذا السبب، لما وقع بين أهل الأديان اختلاف في الملل والمذاهب، ولما افترقت أمة رسول الله صلى الله عليه وآله على ثلاث وسبعين فرقة، والناجية منها واحدة، ولما زعم كل واحد منهم أنه من

١. النحل: ٩٩-١٠٠

الفرقة الناجية، وإن غيرهم في النار، وذلك لأن كل واحد إنما يقصد لنفسه أن يحصل له الدين الحق، والاعتقاد الصحيح، وأن أحدا لا يرضى لنفسه بالجهل والكفر، فلو كان الأمر بحسب سعيه وإرادته لوجب كون الكل محقين صادقين، سيما المواظبين على استعمال الفكر والروية، الهاربين عن الخلل والقصور، ولو على الشذوذ والندور. وحيث لم يكن الأمر كذلك - ونجد المحقين على جنب المبطلين كالشعرة البيضاء في بقرة سوداء - علما إنه لا خلاص من هذه الظلمات إلا بإعانة إله الأرض والسماوات، فما أشد احتياج الإنسان بالاستعاذة إلى واهب الحكمة والعرفان، وخالق الإنسان والجان.

وعلى صعيد العمل: فإن العوائق الصادرة عن القوى الشهوية والغضبية وغيرها التي تجر القلب عن أوج عالم الروحانيات إلى حضيض عالم الجسمانيات كثيرة لا حصر لها ولا عدداً، وأن خلاص القلب عن هذه الظلمات الشاغلة له عالم الأنوار الإلهيات لا يتيسر إلا بإعانة الله وإغاثته وجذبه»[1]

المسألة الثانية: أركان الاستعاذة

الركن الأول المستعيذ

وهو الإنسان في حال سلوكه إلى الله ذي الجلال والإكرام؛ حيث يجب عليه الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى وبكلماته التامة من شر كل عائق وشوك يعترض طريقه إليه، وهنا ينبغي التنبيه على ثلاث حالات للإنسان، وهي:

الحالة الأولى: أن يمكث الإنسان في بيت النفس وقفص الطبيعة أسيراً للهوى والشهوات والغضب والكسل والجبن والخوف والبخل وغيرها من مساوئ الأخلاق، وأن يكون من جنود الشيطان وخدام إخوانه من الفراعنة والطواغيت وأوليائهم الكلاب، ويشاركهم في تنفيذ مخططاتهم الشيطانية لإضلال الناس وظلمهم واغتصاب حقوقهم، والترويج لذلك وإلى القبول بالأمر الواقع الظالم

١. تفسير القرآن الكريم، صدر المتألهين، ج ١، ص ٥-٦

المنحرف وفرضه على الناس، ولم يشتغل بالسفر الروحاني والسلوك إلى الله تبارك وتعالى.

وفي هذه الحالة تترسخ في الإنسان بعض الصفات القبيحة، وتتأكد ضروب الملكات الخبيثة، ويكون الإنسان خاضعاً تحت سلطة الشيطان وحكومته، وليس له عقل أو فهم إنساني للحقائق والأمور، فهو لا يفهم القرآن ولا يفهم دعوات الأنبياء والأوصياء ولا ينتفع بها، ولا تنفعه النصائح والمواعظ، وليس للاستعاذة أي قيمة أو منفعة لدى هؤلاء، ويتكرر منهم صدور الأعمال القبيحة والمعاصي الكبيرة، وإن استعاذوا فإنما استعاذتهم قلقلة لسان لا فائدة منها ولا قيمة عملية لها، وهي تثبيت وتحكيم لسلطة الشيطان - كما سبق توضيحه – وليست استعاذة حقيقية من الشيطان.

مثال ذلك: لو قصدك عدو يريد قتلك أو إلحاق الضرر بك، وعندك حصن حصين تستطيع الوصول إليه والتحصن فيه، وقلت لعدوك: أعوذ منك بهذا الحصن الحصين، ولن تستطيع الوصول إليّ والإضرار بي، ولكنك لم تتحرك من مكانك ولم تدخل ذلك الحصن، فإن كلامك لا ينفعك ولن يمنعك من عدوك.

وكذلك الاستعاذة لا تنفع الإنسان إذا قال بلسانه (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ما لم يتحرك ويفر فعلاً من الشيطان الرجيم، ويلجأ إلى الله الرحمن الرحيم، فيترك ما يحبه الشيطان الرجيم وما يحبه إخوانه وأوليائه من الطواغيت والفراعنة، ويترك ما يكرهه الرحمن من الشهوات وغيرها، ويأتي بما يكرهه الشيطان وإخوانه وأوليائه من الفراعنة والطواغيت، وما يحبه الرحمن من الطاعة ومكارم الأخلاق.

فالمستعيذ الحقيقي: هو الذي يقترن عنده القول بالعزم والإرادة على التعوذ بحصن الله تبارك وتعالى من شر الشيطان الرجيم، والتحرك والعمل من أجل ذلك، وحصن الله تبارك وتعالى هو (لا إله إلا الله).

في الحديث القدسي: «لا إله إلا الله حصني، ومن دخل حصني أمن من

عذابي»[1].

ودخول حصن «لا إله إلا الله» ليس بالكلام والادعاء، وإنما بالإذعان القلبي واليقين القطعي بأن كل معبود سوى الله تبارك وتعالى باطل، وأنه لا طاعة، ولا خضوع، ولا خوف، ولا طمع إلا في الله الذي لا إله غيره، ولا معبود سواه، وأن كل من اتخذ إلهه هواه، وكل من أطاع الطاغوت، وكل من خضع للفراعنة وأعانهم على الظلم والفساد تحت أي عنوان، فهو من أولياء الشيطان وجنوده وفي ساحته، لم يخرج منها ولم يدخل في حصن الله، ذلك وإن صام الدهر كله، وإن ظهر بمظهر أزهد الزاهدين وأكثر الناس صلاة وتسبيحاً.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة وشكاسة الخلق، وإلحاح الشهوة وملكة الحمية ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة وإيثار الباطل على الحق والإصرار على المأثم واستصغار المعصية واستكثار الطاعة ومباهاة المكثرين والإزراء بالمقلين وسوء الولاية لمن تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا أو أن نعضد ظالماً أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا بحق أو نقول في العلم بغير علم، ونعوذ بك أن ننطوي على غش أحد وأن نعجب بأعمالنا ونمد في آمالنا»[2].

قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[3]

أيها الأحبة الأعزاء: إن الإنسان ما دام مشغولاً بالدنيا ومنهمكاً فيها، ولم يشتغل بتزكية نفسه وتطهيرها، وأطلق لها العنان، فإنه يتجاوز حدود الله تبارك وتعالى وينتهك حقوق الناس، ويكون مستعداً لأن يدمر شعباً بأكمله كما فعل

١. جامع السعادات، ج ٣، ص ٣٤٩

٢. الصحيفة السجادية، في الاستعاذة من المكاره وسيئ الأخلاق ومذام الأفعال

٣. الأنعام: ١٦٢-١٦٣

صدام وشارون، ويفعل أمثالهما من الحكام الظلمة المستبدين؛ بل يكون مستعداً لأن يدمر الكرة الأرضية بأكملها من أجل الرئاسة والسيطرة كما يفعل الرئيس الأمريكي بوش، وهؤلاء لا يسمعون دعوات الأنبياء والأولياء ولا يستفيدون من الكتب السماوية والمواعظ الحسنة، ولا يعطون قيمة للتمييز بين الخير والشر أو الحق والباطل أو العدل والظلم، فهذه وكل القيم الإنسانية والأخلاقية والمعنوية لا قيمة لها عندهم، فهم يعتبرون الظلم شجاعة وكياسة وانتصاراً، ويرون التمسك بقيم الحق والعدل والخير ضعف ومثالية وغباء و... الخ.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1]

ولكي يسمع الإنسان كلام الله ودعوات الأنبياء والأولياء والمواعظ الحسنة ويستفيد منها، عليه أن يهتم بتزكية نفسه وتطهيرها من الآثام والمعاصي والذنوب، وأن يبتعد عن الخداع والمكر والتذاكي على الناس ولعب أدوار الشطارة الشيطانية عليهم، لكي يكون إنسانياً يميز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، ويستفيد من الكتب السماوية ودعوات الأنبياء والأولياء وتنفعه النصائح والمواعظ الحسنة.

قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[2]

وقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]

كما لا ينفع مع هؤلاء التحذير والتأديب والإرشاد والتهذيب لبطلان قوتهم وزوال استعدادهم لجانب الفضيلة والكمال.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا

---

١. النمل: ٨٠-٨١

٢. الأعلى: ١٤-١٥

٣. البقرة: ٢

يُؤْمِنُونَ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾[2]

ولنا في هذه الحالة درس في غاية الأهمية، وفيه تحذير للمؤمنين الأعزاء من ثلاثة مخاطر، وهي:

الخطر الأول: الحذر من إيثار الدنيا على الآخرة، والاشتغال بهموم الدنيا ونسيان العمل للآخرة، فهذا الإيثار داخل في دائرة هذا المقام غير المحمود، وصاحبه خاسر لا محالة، وأن استعاذته لا فائدة لها وخالية من المضمون.

قول الله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[3]

الخطر الثاني: وفيه تحذير للمؤمنين لا سميا العاملين منهم في الحقل السياسي والجهادي، بأن الحرص على الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والرفاهة المادية، على حساب الجوانب الروحية والأخلاقية والدينية وتضييعها، يجعل هؤلاء العاملين في هذا المقام غير المحمود، ومن الأخسرين أعمالاً، فينبغي الاهتمام بالمصالح المادية والرفاهية ورغد العيش، ولكن ليس على حساب المصالح الروحية والآخرة.

الخطر الثالث: إن إيثار كلام البشر وتفضيله على كلام الله والأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وتقديمه عليه في تدارسه وتدريسه وتقديمه للناس، وكذلك تقديم القيادات والزعامات الدنيوية على الزعامات الروحية وتفضيلهم عليهم، يجعل من يفعل ذلك من الماكثين في هذا المقام غير المحمود، ومن

---

١. البقرة: ٦

٢. النمل: ٨١

٣. سورة التكاثر

الأخسرين أعمالاً.

كما ينبغي التنبيه وإعادة التأكيد على ضرورة حماية القيادات الروحية للمصالح المادية المشروعة للناس، وصيانتها وعدم التفريط فيها، فهم مؤتمنون عليها وعلى المصالح الروحية معاً، وليس الروحية فحسب، وإن التقصير في حماية المصالح المادية للناس والدفاع عنها، وتكريس الاهتمام على المصالح الروحية، يسيء للدين ومنهجه في الحياة، ويسيء إلى القيادات الروحية، ويلغي جزءاً من دورها، ولا يخدم المصالح العليا للدين والبشرية.

الحالة الثانية: أن يتلبس الإنسان بالسير الروحاني والسلوك إلى الله تعالى، وفي هذه الحالة فكل ما يعترضه من مانع في سلوكه فهومن الشيطان وبتأييد منه، ويحتاج الإنسان إلى الاستعاذة منه بالله القوي العزيز.

وفي هذه الحالة (حالة: تلبس الإنسان بالسير والسلوك) يجب أن يخرج الإنسان من دار الكثرة التي كان فيها في الحالة الأولى قبل السلوك؛ حيث كان يرى الأفعال من صنع العباد دون الله تبارك وتعالى، ويدخل في حالة السلوك إلى دار توحيد الأفعال؛ حيث يرى الأفعال من الله تبارك وتعالى في المظاهر المتكثرة، في هذه الحالة يرى الإضلال من الله تبارك وتعالى في مظاهر الشيطان، والهداية من الله في مظاهر خلفائه عليهم السلام، فيكون من حكم الاستعاذة في هذا المقام: الاستعاذة من إضلال الله تبارك وتعالى في مظاهر الشيطان، بهدايته إلى مظاهر أوليائه عليهم السلام.

الحالة الثالثة: أن يختم الإنسان السلوك ويصل إلى صفو العبودية، ومقام الرجوع التام إلى رب الأرباب وخالق العباد الذي إليه المنتهى والرجعى، ويحصل له الفناء الذاتي المطلق بحيث لا يرى ذاتاً في الوجود سوى ذات الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وهو غاية السلوك ومنتهاه، وفي هذه الحالة يهلك الشيطان، وتكون استعاذة العبد: (أعوذ بالله من الله، وأعوذ بك منك) من غير شعور منه بذاته، بل تكون استعاذته بفطرة وجوده.

قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[1]

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «إلهي استشفعت بك إليك، واستجرت بك منك»[2].

وكان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إذا سجد وركع قال: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أبلغ ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[3].

يقول صدر المتألهين الشيرازي: «ثم اعلم إن في هذا ا لمقام أيضاً يكون العبد مما قد بقى في يقلبه اشتغال بغير الله، ومقام الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم أعلى وأجل من هذا المقام، وإنما يجري منهم الاستعاذة والدعاء والمناجاة وما يجري مجراه، إما تعليماً للأمة وإما عند نزولهم أحياناً على مقام البشرية ومباشرة الخلق ما داموا في هذه الحياة الدنيوية، وذلك لأن مرتبتهم أعلى من أن يشتغلوا بالمناجاة وأن يستعيذوا بالله من الشدائد، لأن من كان في هذه المرتبة، كانت قبلته في دعائه واستعاذته طلب راحة لنفسه أو دفع أذى عنه، فهو بعد أسير الهوى، معتكف على طلب ما هو الأولى لنفسه، تارة يعتريه الخوف، وتارة يسلبه الرجاء، وهذه كلها اشتغال بغير الله، فإذا ترقى العبد عن هذا المقام، وفنى عن نفسه، وفنى أيضاً عن فنائه عن نفسه، فهنا يرتقي عن مقام الاستعاذة، ويصير مستغرقاً في نور البسملة. ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله، لما قال في سجوده: «أعوذ بك منك» ترقى عن هذا المقام، فقال: «أنت كما أثنيت على نفسك»[4]

وعن عبيد بن زرارة، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي؟

---

١. النجم: ٤١

٢. الصحيفة السجادية، مناجاة الراغبين

٣. كنز العمال، ج ٨، ح ٢٢٦٦٣، ص ٢٢٥

٤. تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ١٢

فقال عليه السلام: «ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلّى الله له، قال: ثم قال تلك النبوة يا زرارة. وأقبل بتخشع» (أي: واقبل الإمام عليه السلام إلى الله تعالى حين التكلم بهذا الكلام بحالة التخشع والخضوع).[1]

وفي هذه الحالة يهلك الشيطان، ويكون السالك على كماله الأتم الملائم لذاته من غير مانع ولا دافع، وبريء من كل الوجوه عن الشرور والآفات، ولا يكون في قلب العارف سوى الله تبارك وتعالى والسلطة الإلهية، وتتم الاستعاذة في هذه الحالة، ولا يبقى أثر لها.

قال أبوعبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل يقول: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ «فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا»[2].

من الواضح أن المصنف: صاحب الكافي الشريف (رحمه الله) لقد أورد الحديث فيما يراد منه الإمساك عن الكلام في ذات الله تبارك وتعالى، ولكن ذلك لا يمنع من فهم إشارة الحديث في مطلبنا من البحث.

بحث في مكانة أهل البيت عليهم السلام

ولنا في هذا البحث وقفة في غاية الدقة والأهمية، تتعلق بمقام أهل البيت عليهم السلام؛ حيث ينبغي علينا الوقوف عنده والاستفادة منه في الهداية إلى الله جل جلاله والسلوك إليه، وسوف نأخذ من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نموذجاً؛ تسهيلاً للبحث وإدراك مطالبه، وفيه:

أولاً - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني»[3].

وهذا الحديث الشريف يدل قطعاً على أن علياً عليه السلام قد بلغ مقام الفناء

---

١. توحيد الصدوق، باب: ما جاء في الرؤية، ص ١١٥

٢. الكافي، ج ١، باب: النهي عن الكلام في الكيفية، ح ٢، ص ٩٢

٣. مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ١٢١

المطلق في الله جل جلاله، وأن إرادة علي عليه السلام لا تخالف إرادة الله تعالى في أي أمر، وفي ذلك دليل على عصمته عليه السلام، وفيه تفسير لبعض ما ورد في القرآن وفي الحديث عن أهل البيت عليهم السلام، مثل: أن علياً عليه السلام وجه الله، فليس لله تعالى وجه، ولكن ما يظهر على وجه علي عليه السلام من الفرح والسرور يدل على رضا الله تعالى، وما يظهر على وجه علي عليه السلام من الكراهية يدل على غضب الله تعالى، وكذلك القول: بأن علياً عليه السلام نور الله، لأنه عليه السلام يهدي الناس إلى الحق والصواب والصراط المستقيم، وكذلك قول الله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[1] فليس ذلك دليل على الجبر كما ذهب إليه البعض، ولكنه تعبير عن اتحاد إرادة الرامي مع إرادة الله سبحانه وتعالى.

ثانياً - عن أم سلمة (رضي الله تعالى عنها) أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[2].

وهذا الحديث الشريف عن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، يدل بوضوح تام على أن علي بن أبي طالب عليه السلام والقرآن في رتبة واحدة، وأن علي بن أبي طالب عليه السلام قد بلغ مقام الفناء المطلق في الله، بدليل أن القرآن الكريم هو التجلي الأعظم لله تبارك وتعالى إلى خلقه، ومن يكون مع القرآن لابد أنه قد بلغ مقام الفناء المطلق في الله تبارك وتعالى.

ويدل قول الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «علي مع القرآن» على دلالات عديدة، منها الدلالات التالية:

الدلالة الأولى: إن علياً عليه السلام يعلم كل ما في القرآن، ويكشف عما فيه، وقد قال الله تبارك وتعالى عن القرآن: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾٢

الدلالة الثانية: إن علياً عليه السلام ملازم للقرآن، لا يفارقه ولا يختلف معه في علم

١. الأنفال: ١٧

٢. مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ١٢٤

أو قول أو عمل، وأنه تجسيد للقرآن في حياته الخاصة، وتجسيد للقرآن في حياته العامة وحكمه بين الناس، وأن كل من يخالف علياً عليه السلام في قول أو فعل فقد خالف القرآن الكريم.

الدلالة الثالثة: إن علياً عليه السلام معصوم شأنه في ذلك شأن القرآن الذي قال الله تعالى عنه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

وأما قول الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «والقرآن مع علي» فله أيضاً عدة دلالات، منها الدلالات التالية:

الدلالة الأولى: إن القرآن وعلياً عليه السلام في رتبة واحدة.

الدلالة الثانية: إن علياً عليه السلام معيار للحق وكاشف عما في القرآن، وأن كل من يفارق علياً أو يخالفه أو يختلف معه في العلم أو القول أو العمل، فقد فارق القرآن، وفارق الحق والخير والعدل وخالفه واختلف معه.

الدلالة الثالثة: إن القرآن يأمر بالرجوع إلى علي عليه السلام واتباعه مطلقاً، وعدم مخالفته في أي أمر من الأمور في الدين والدنيا.

وفي الختام: فإن كل ما ثبت للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه يثبت لجميع الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، بدليل حديث الثقلين.

قول الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»[2].

ولحديث الثقلين دلالات عديدة، منها الدلالتان التاليتان:

الدلالة الأولى: إن أهل البيت عليهم السلام في منزلة القرآن ويعلمون كل ما جاء فيه.

الدلالة الثانية: إنّ كل من خالف أهل البيت عليهم السلام خالف القرآن.

الدلالة الثالثة: إنه لا يخلوا زمان من متأهل منهم عليهم السلام إلى يوم القيامة.

---

١. فصلت: ٤٢

٢. مستدرك الوسائل، جزء ٣، صفحة ١٤٨

وتبرز في هذا الدرس لكل سالك طريق الرب تبارك وتعالى ضرورةُ الاستعاذة من كل مخالفة لأهل البيت عليهم السلام في العلم والقول والعمل وتقديم غيرهم عليهم.

الحالة الرابعة: أن يحصل للإنسان الصحو والرجوع من الفناء المطلق، وفي هذه الحالة، تكون للاستعاذة حقيقة، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الرسول الأكرم الأعظم صلى الله عليه وآله بالاستعاذة.

قول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[1]

وتبرز أهمية الصحوة بعد الفناء والرجوع إلى الناس لتبليغهم ما يتلقاه النبي عن الله تبارك وتعالى، وقد وجدنا في الحديث الشريف الذي رواه الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الغشية، قوله عليه السلام: «تلك النبوة يا زرارة».

فالنبوة هي التلقي عن الله تبارك وتعالى، والرسالة هي التبليغ إلى الناس عن الله جل جلاله، وهذا التبليغ يقضي الصحوة والرجوع.

الخلاصة، وفيها النقاط التالية:

النقطة الأولى: إن الإنسان ليس مستعيذاً في مقامين من المقامات الأربعة السابقة، هما:

المقام الأول: في حالة الاحتجاب المحض قبل السلوك (الحالة الأولى) ويكون الإنسان في هذه الحالة واقعا تحت تصرف الشيطان بالكامل، ولا قيمة فعلية للاستعادة ولا حقيقة لها إلا بالتفضل والعناية الإلهية.

المقام الثاني: في حالة ختم السلوك والفناء المطلق (الحالة الثالثة) وقد سبق توضحيه بالتفصيل هناك.

النقطة الثانية: إن الإنسان يكون مستعيذاً في مقامين من المقامات الأربعة

---

١. المؤمنون: ٩٧-٩٨

السابقة، هما:

المقام الأول: في حالة السير الروحاني والسلوك إلى الله تعالى (الحالة الثانية)، وهو يستعيذ من كل مانع وأشواك الوصول التي قعدت له على الصراط المستقيم.

قول الله تعالى على لسان إبليس عليه اللعنة: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1]

المقام الثاني: في حالة الصحو والرجوع بعد الفناء المطلق (الحالة الرابعة) وهو يستعيذ من الاحتجاجات التلونية وغيرها.

الركن الثاني: المستعاذ منه

الاستعاذة ينبغي أن تكون لدفع جميع الشرور والآفات الروحية والجسمية، وهي أمور غير متناهية ولا يمكن حصرها، ونذكر منها على سبل المثال الأمور التالية:

أولاً - إبليس اللعين والشيطان الرجيم، الذي يمنع الإنسان السالك من الوصول إلى غاية السلوك ومنتاه؛ حسداً من عند نفسه، لأن الله الجليل تبارك وتعالى طرده من عالم القدس بسبب تركه السجود لآدم أبي البشر عليه السلام.

ثانياً - هوى النفس والقوى الشهوية والغضبية، فهذه لها حالتان، وهما:

الحالة الأولى: أن تروض بالرياضات الدينية وتؤدب بالآداب العقلية والوجدان الأخلاقي، وهي في هذه الحالة، تكون معينة للإنسان في سفره إلى الحق، وتفاصيل ذلك في كتب علم الأخلاق.

الحالة الثانية: إذا لم تروض بالرياضات الدينية، ولم تؤدب بالآداب العقلية والوجدان الأخلاقي، وهي في هذه الحالة، تكون من أعداء الله وأولياء الطاغوت وجنود الشيطان وشريرة مثله، وطيعة لإغواءاته ووساوسه، ومذعنة له في قضاياه

---

١. الأعراف: ١١٦

الاعتقادية الباطلة، وما يأمرها به من المنكر، وينهاها عنه من المعروف، ومغترة بما يورده عليها من الوعد بالشر في حال مخالفته، والإيعاد بالخير والآمال الطويلة العريضة، والأماني في حال طاعته، وذلك لأنها واقعة في عالم المادة والظلام والبعد عن الله تبارك وتعالى وفي مهوى الشيطان، ومتطبعة على أفعال وأعمال مهوية للإنسان ومبعدة له عن الإنسانية الرفيعة، ودار الكرامة ومحل القرب من الله جل جلاله ومنبع الخير والنور.

ثالثاً - الأشياء الضارة التي ترد على الإنسان من الخارج، وهي أصناف عديدة، منها الأصناف التالية:

الصنف الأول: الأعداء والخصوم في الدين والدنيا وعلى رأسهم الفراعنة في مشاريعهم التي تقوم على أساس الظلم والإفساد وسلب الحقوق، والطواغيت في مشاريعهم التي تروج للباطل ونشر الضلال بين الناس وإبعادهم عن الحق وصرفهم عنه.

الصنف الثاني: الوحوش والسباع والعقارب والحيات والسموم وغيرها من الكائنات الضارة.

الصنف الثالث: الـزلازل والبراكين والصواعق، والهدم والحرق والغرق والمرض والعلل والأسقام والآفات والمتاعب والمشاق وغيرها من الحوادث والوقائع القاتلة المؤذية.

الصنف الرابع: القتل والحبس والنهب والسرقة والظلم والجور والافتراء عليه وشهادة الزور في حقه وغيرها من الأعمال والجنايات الضارة بحقه.

الصنف الخامس: العقائد والآراء الباطلة، والفسوق والمخالفات الشرعية، والأخلاق القبيحة وغيرها من الحالات والأوضاع المضرة بإنسانية الإنسان ودينه وغاية وجوده ومصيره.

ومن الواضح لكل ذي عقل، أن جميع الخلائق ليس لديهم القدرة على دفع

جميع هذه الشرور، فحينئذ يلتجئ الإنسان إلى الله العليم القدير الحكيم لدفعها عنهم.

قال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وشر ما ينزل من الأرض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير»[1] والطارق بخير: هو الطارق الإلهي الذي يدعو إلى الحق تعالى.

وها هنا ملاحظتان رئيسيتان، وهما:

الملاحظة الأولى: كل شوك وعائق في طريق الحق، وحجاب عن جمال المحبوب فهو شيطان، سواء كان من الجن أم الإنس، وكل مانع من السير والوصول إلى غاية السلوك ومنتهاه والأنس بالمحبوب والخلوة معه والاستغراق في بحر الجمال والجلال، فهو من الشرور، ومرتبط بعالم الشيطان وعمله ومكائده وحبائله، سواء كان من المقامات المعنوية أم العلوم العقلية أو الحرف والصنائع أم المكانة والوجاهة الاجتماعية أو العيش والراحة أو المشقة والذلة وغيرها، ولابد من الاستعاذة منها.

الملاحظة الثانية: إن الشرور المشار إليها في البحث متفاوتة المراتب في الشرية، وكلما كانت شرية الشيء أعظم، يجب الاستعاذة منه أكثر، ومعلوم أن شرور الآخرة أشد من شرور الدنيا؛ بل لا نسبة بينهما، كما لا نسبة بين خيرات الآخرة وخيرات الدنيا، لأن بقاء الأخروي غير متناهٍ، والتفاوت في نوع اللذات الدنيوية والأخروية تفاوت كبير جداً لا يمكن قياسه بالمقاييس الدنيوية، وكذلك التفاوت بين طبقات الجنان ولذاتها، فالتفاوت بين أهل اليمين وبين الأبرار والمقربين تفاوت كبير. كبير لا يخطر على بال أحد، فما يناله أهل الجبروت والملكوت من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والأولياء الكاملين سلام

١. تفسير الشيرازي، ج ١، ص ١٥

الله عليهم أجمعين، ومن يتلوهم من السعداء الصالحين من ملاحظة جمال الله وجلال حضرة رب العالمين، لا يمكن قياسه إلى اللذات التي ينالها أهل اليمين؛ فضلاً عن اللذات التي ينالها أهل الحواس الخمس من البهائم والسباع والدواب والأنعام ومن يحذو حذوهم من لذات البطن والفرج والرياسة في هذه الحياة الفانية المشوبة بالكدورات الممزوجة بالآفات.

فالاستعاذة مما يضر الدنيا ويضاد للسعادة فيها، على النسبة التي بين خيرات النشأتين وشرورها.

ثم إن أعظم تلك الأمور تأثيراً في الإضرار بجوهر النفس الإنسانية بحسب النشأة الآخروية، هي القوى الحيوانية المدركة والمحركة؛ أعني: الهوى والقوة الشهوية والغضبية، إذا لم ترتض بالرياضات الدينية ولم تتأدب بالآداب العقلية، تتحول من الولاية لله الواحد الصمد، إلى أعداء له جل جلاله، وأولياء للطاغوت وجنود الشيطان، لأنها واقعة في عالم البعد عن الله جل جلاله وفي مهوى الشيطان، وتكون مطبوعة على أفعال وأعمال مهوية مهلكة مبعدة للإنسان عن دار الكرامة ومحل القرب من الله ذي الجلال والإكرام ومنبع الخير والنور، فلا جرم أنها (أي القوى) تجيب دعوة الشيطان الذي هو رئيس الظلمة وولي أهل الظلمات، وتُدخل الإنسان إلى ساحته وفي حكومته، فيجب على كل إنسان أن يستعيذ أشد الاستعاذة من شرورها.

إن هذه القوى التي زود الله المبدع بها الإنسان، تعتبر معينة له في سفره إلى الحق وتحقيق غاية وجوده، إذا حافظ الإنسان على سلامتها ونقائها من التلوث، وألزمها بطاعة العقل والشرع، وتعتبر وبالاً عليه ومن جنود الشيطان وشريرة مثله عندما تخرج عن دائرة الفطرة وطاعة العقل المنور بنور الشرع.

وقد جاء في دعاء الحزين الذي كان الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو به بعد صلاة الليل، قوله عليه السلام: (فيا غوثاه ثم واغوثاه بك يا الله من هوىً قد غلبني، ومن عدو قد استكلب عليّ، ومن دنيا قد تزينت لي، ومن نفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي).

الركن الثالث: المستعاذ به

مما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف، أن الاستعاذة على وجهين، وهما:

الوجه الأول: أن يقال (أعوذ بالله).

قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1]

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «أوحى الله عز وجل إلى داوود عليه السلام، ما اعتصم بي عبد عن عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن، إلا جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد خلقي، عرفت ذلك من نيته، إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأي واد هلك»[2].

وقد ذكرت في الركن الأول بأن الاستعاذة متحققة في السلوك إلى الله تعالى في جميع مراتب الوصول ومنازله، فتختلف الاستعاذة بالله على حسب مقامات السالكين ومنازلهم.

قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[3]

المقام الأول: الاستعاذة برب الناس، وذلك في بداية سلوك الطريق إلى الله تعالى، والتخلص من رؤية الكثرة، ونسبة الأفعال كلها إلى الرب الواحد الأحد الصمد، بعد أن كان ينسبها إلى غيره، ويعترف بالربوبية إلى الله تعالى، وينضوي تحت لوائها معترفاً نادماً على ما بدر منه من المخالفة لأمره ونهيه.

---

١. النحل: ٩٨

٢. الكافي، ج ٢، باب: التفويض إلى الله والتوكي عليه، ح ١، ص ٦٣
الباب كله وفيه ثمانية أحاديث، كلها يخدم هذا الغرض

٣. سورة الناس

والرب هو الأقرب من الإنسان، وأول ما يلتفت إليه السالك في أول الطريق، لأن الرب هو الذي يلي أمره ويدير شؤونه ويربيه ويرجع إليه في جميع حوائجه، ويشعر بالحاجة إلى عونه في دفع ما يهدده من الشر.

المقام الثاني: الاستعاذة بملك الناس، ذي القوة والسلطان والحكم النافذ، الذي يقصده من لا ولي له فيقضي حاجته، ولازم الاعتراف بالمالكية لذي الملك: الخضوع التام لحكومته، والتسليم المطلق لأمره ونهيه. ويستعيذ به السالك لتطهير القلب من تصرفات الشيطان وسلطنته الجائرة، ويعرف هذا المقام بمقام القلب.

المقام الثالث: الاستعاذة بإله الناس، المعبود وحده لا شريك له، ولازم ذلك إخلاص العبد نفسه له، فلا يدعو إلا إياه، ولا يرجع في شيء من حوائجه إلا إليه، ولا يريد إلا ما أراده، ولا يعمل إلا ما يشاء، وإنما قصده وسار في طريق عبوديته وحده لا شريك له، عن معرفة وإخلاص لا عن طبعه المادي. ويستعيذ به السالك حين تتصل روحه بالإله المعشوق، والهيام في بحر جماله وكماله وجلاله، ويعرف هذا المقام بمقام الروح.

المقام الرابع: الاستعاذة بالله من الله، (اللهم إني أعوذ بك منك) ويعرف هذا المقام بمقام السر، وقد سبق بسط الكلام فيه.

والاستعاذة باسم الله تبارك وتعالى، تناسب جميع المقامات، لأنها الاستعاذة المطلقة، لجامعية الاسم، أما سائر الاستعاذات، فهي استعاذات مقيدة، وسوف يوضح الموضوع أكثر في دراسة مضامين البسملة.

الوجه الثاني: أن يقال: (أعوذ بكلمات الله)

فما هو المراد بكلمات الله؟

في البداية: علينا أن نستحضر بأن قول الله سبحانه وتعالى وكلماته ليس من جنس الأصوات والحروف، وإنما هي موجودات مقدسة روحانية أمرية، وهي

وسائط بين الله تعالى وبين الأكوان الخلقية، وبها نفاذ علمه وقدرته وسريان مشيته وإرادته في الكائنات، بحيث يستحيل أن يعرض له مانع أو عائق.

قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1]

فقد أطلق الله تبارك وتعالى على عيسى ابن مريم عليه السلام بأنه: (كلمة منه)، وهكذا الحال في الملائكة وغيرهم.

والاستعاذة بكلمات الله تعالى التي هي وسائط من عالم الأمر والنور بين الله تبارك وتعالى وبين الأكوان الخلقية، لأنها بريئة من كل شر وقصور وآفة، بخلاف ما في عالم الخلق، فإن الأجسام مصابة بالآفات والشرور، فوجب الاستعاذة من شر ما خلق بما في عالم الأمر، فالاستعاذة بكلمات الله تعني: الاستعانة بالأرواح العالية المقدسة في دفع شرور الأرواح الخبيثة الظلمانية الكدرة.

وهنا تجدر الإشارة إلى بعض الملاحظات المهمة، وهي كالتالي:

الملاحظة الأولى: يقول صدر المتألهين الشيرازي: «إن الاستعانة بكلمات الله إنما يحسن ويليق لأن الاستعانة بها من حيث هي كلمات الله وأمره، استعانة به تعالى لا بغيره، وأما الاستعاذة بها من حيث هي موجودات ممكنة بذواتها، موجودة بوجود جوهري إمكاني افتقاري، فلا يحسن ولا يليق، لأنها حينئذ يكون الاستعانة بها استعانة بغير الحق، ومن استعان بغير الحق ذل»[2].

الملاحظة الثانية: يقول صدر المتألهين الشيرازي: «ثم لا يخفين عن فطنتك، أن قول العبد (أعوذ بكلمات الله التامات) من حيث هي متغايرات غيريات، إنما يلائم له ويليق به، إذا كان بعد غير واصل إلى صفو العبودية ومقام الرجوع التام، ويكون قد بقي في نظره التفات إلى غير الله، فهو بعد مريد نفسه

---

١. آل عمران: ٤٥

٢. تفسير القرآن الكريم، صدر المتألهين، ج ١، ص ١٢

وقاصد حظه، وأما إذا تغلغل في بحر التوحيد وتوغل في بحر الحقائق، وصار لا يرى في الوجود إلا الله الواحد، لم يستعذ إلا بالله، ولم يلتجئ إلا إليه، ولم يعوّل إلا عليه، فلا جرم يقول: أعوذ بالله، وأعوذ من الله بالله. كما قال النبي ﷺ: أعوذ بك»[1].

الركن الرابع: المستعاذ له

وهي الغاية التي يستعيذ الإنسان لأجلها بالله تعالى وبكلماته مما هو شر ووبال عليها، ومعلوم أن مطالب الإنسان في الكمال غير متناهية، ومقابلاتها في السقوط إلى الحضيض غير متناهية، فالسلوك مقامات، وغاية السالك الحقيقية في كل مقام حصول الكمال والسعادة والخير في ذلك المقام، وبالتالي فالغاية تتفاوت حسب مراتب السالكين ومقاماتهم، ففي بادي السلوك، ما دام السالك في بيت النفس وحجاب الطبيعة (الحالة الأولى) تكون غاية سيره حصول الكمالات النفسانية والسعادات الطبيعية، فإذا خرج السالك من بيت النفس، وذاق شيئاً من المقامات الروحية والكمالات المعنوية التجريدية (الحالة الثانية) يصير مقصوده الكمالات القلبية والسعادة الباطنية، وهي أعلى وأكمل من الكمالات النفسية والسعادات الطبيعية، فإذا واصل السير ودخل منزل السر الروحي(الحالة الثالثة) تبرز في باطنه مبادئ التجليات الإلهية، وفي هذا المنزل مقامات أولها: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض) وآخرها(وجهت وجهي له) والحق تبارك وتعالى هو غاية الغايات، ومنتهى السلوك والطلبات.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك» - تأمل ملياً لفظ وجدتكَ - «أهلا للعبادة فعبدتك»[2].

ولكل أحد وفي كل مقام من هذه المقامات، ولكل سعادة من هذه

١. نفس المصدر، ص ١٢

٢. بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١٤

السعادات شيطان مخصوص وحبائله المانعة من حصول السعادة المطلوبة والـكمال المترقب، ولابد للسالك أن يتعوذ بالحق تبارك وتعالى من ذلك الشيطان وشروره وحبائله للوصول إلى المقصود الأصلي والمنظور الذاتي في ذلك المقام، وكلما كان السالك أفضل وأجل، ومقامه أعلى وأكمل، كان شيطانه أقوى وأغوي وأضل عن طريق الاستقامة، وله في لطائف الحيل وجوه أدق وأخفى.

وانتهى البحث في المدخل الأول.

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١. هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة
٢. المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن
٣. فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي
٤. الخارجون من الماء، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة المحرر من السجون الخليفية محمد طوق
٥. القادم من هناك، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة الشهيد القائد رضا الغسرة
٦. ألم وأمل، السيد مرتضى السندي، تجربة واقعية في السجون الخليفية
٧. فارس التحرير، أحمد العرب، حول الشهيد علي العرب
٨. بين غياهب الموج، الشهيد ميثم علي
٩. أبو قسّام، الشهيد الفدائي محمد سهوان، علي معراج
١٠. ذلك يوم الخلود، الشهيد أحمد الملالي، كمال السيد

سلسلة نهج الولاية:

١. العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي
٢. الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي
٣. التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي
٤. العبد الصالح، الإمام الخامنئي، رواية الإمام الخامنئي حول الإمام الخميني
٥. سيد شهداء محور المقاومة، قاسم سليماني
٦. عهد الأمير إلى المسؤول والمدير، شرح رسالة الإمام علي لمالك الأشتر، الإمام الخامنئي
٧. النفوذ في فكر الإمام الخامنئي
٨. الحياة بأسلوب جهادي، الإمام الخامنئي
٩. الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي
١٠. الثوري الأمثل، الإمام الخامنئي
١١. صلح الإمام الحسن عليه السلام، الإمام الخامنئي
١٢. النهضة البرمجية، الإمام الخامنئي
١٣. يحبهم ويحبونه - كلمات السيد حسن نصرالله حول الشهيد قاسم سليماني

سلسلة من داخل السجن:

١. التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور
٢. تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور
٣. الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤. الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد
٥. يسألونك عن عاشوراء، الأستاذ محمد فخراوي

٦. رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٧. على ضفاف الحسين، الأستاذ محمد سرحان
٨. نشيد الشهادة، شرح وصية الشهيد القائد قاسم سليماني، الأستاذ محمد سرحان
٩. ماضون على دربك، قصص أسرى البحرين بعد استقبال خبر شهادة القائد قاسم سليماني
١٠. مرج البحرين يلتقيان، حياة الإمام علي وفاطمة الزهراء، الأستاذ محمد فخراوي
١١. خط الإمام الخميني، الشيخ جاسم المحروس
١٢. الإسلام دين الفطرة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
١٣. شقشقة المظلوم، شرح الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين عليه السلام، الشيخ زهير عاشور
١٤. إلى أحبتي، نصائح تربوية إلى الشباب، الشيخ زهير عاشور
١٥. وذكرهم بأيام الله، شذرات من فكر الإسلام المحمدي الأصيل، الأستاذ محمد سرحان
١٦. اللامنطق في الفكر والسلوك (مجلدين)، مواجهة النبي موسى لفرعون، الأستاذ عبدالوهاب حسين
١٧. رحيق كربلاء، الشيخ زهير عاشور
١٨. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
١٩. شمعة في وسط الظلام، الشيخ زهير عاشور
٢٠. إضاءات فكرية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٢١. فارس التحرير، أحمد العرب، حول الشهيد علي العرب
٢٢. مشكاة - فضيلة أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين، حسن مرهون
٢٣. أبو قسّام، الشهيد الفدائي محمد سهوان، علي معراج
٢٤. إضاءات على السيرة السياسية للمعصومين عليهم السلام، الشيخ زهير عاشور
٢٥. تراتيل السكينة - دراسات في سيرة أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين، الأستاذ محمد سرحان
٢٦. حكومة العالِم العادل، الشيخ جاسم المحروس

سلسلة الاستكبار العالمي:

١. تاريخ أمريكا المستطاب، الدكتور محمد صادق كوشكي
٢. دواعش بربطات عنق، سيد هاشم ميرلوحي
٣. أمريكا مهد الديمقراطية والحرية، سيد هاشم ميرلوحي

سلسلة تاريخ البحرين:

١. آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
٢. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٣. الإبادة الثقافية في البحرين
٤. تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١. الاستعاذة
٢. إضاءات فكرية
٣. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب
٤. اللامنطق في الفكر والسلوك، مواجهة النبي موسى لفرعون
٥. الإسلام دين الفطرة
٦. رسول الرحمة
٧. الإسلام والعلمانية
٨. الجمري في كلمات أمينه وخليله
٩. القدس صرخة حق
١٠. إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام
١١. قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام
١٢. الدولة والحكومة
١٣. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني
١٤. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول
١٥. في رحاب أهل البيت عليهم السلام
١٦. الشهادة رحلة العشق الإلهي

سلسلة الثقافة التنظيمية:

١. العمل التنظيمي، ماهيته وفلسفته وكيفيته، الدكتور حسين عرب أسدي والدكتور حميد رضا محمدي ومحمد مهدي زارع مهرجردي

كتب أخرى:

١. قافلة الخلود - شهداء البحرين
٢. عاشوراء البحرين ٢٠١٩
٣. كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي
٤. عاشوراء البحرين ٢٠١٨
٥. حصاد البحرين ٢٠١٧
٦. عاشوراء البحرين ٢٠١٧
٧. في رحاب مدرسة الإمام الخميني
٨. المهدوية في الفكر الولائي
٩. الحصاد السياسي ٢٠١٦

كتب باللغة الفارسية:

١. تغییر در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور
٢. بازخوانی خطبه های امام حسین (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، الأستاذ عبدالوهاب حسين

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

٣. بر آستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤. رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي
٥. گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٦. تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)
٧. بت شكن (رواية الخارجون من الماء)، كمال السيّد

الشيطان بحسب طبعه بعيد كل البعد عن فعل الخير وإن أخفى نفسه في أثواب الصالحين والعلماء والقديسين، وإن قام بفعل الخير حسب الظاهر، فلأغراض شيطانية خبيثة خفية، كما تتظاهر أمريكا في الوقت الحاضر بالدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان من اجل السيطرة على الشعوب واستعمارها ونهب ثرواتها وحماية الكيان الصهيوني.

9 786144 642733